إسعاد البرية باختصار شرح الطحاوية

مع تعليقات هامة للعلماء وهم
(عبد العزيز بن باز ، ناصر الدين الألباني ، محمد بن مانع ، صالح الفوزان ، صالح آل الشيخ ، عبد العزيز الراجحي)

اختصره وحقق أحاديثه
أبو عبدالله ياسر العوامري





بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أما بعد:

فهذا كتاب العقيدة على مذهب الامام أبي حنيفة رحمه الله لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المصري الحنفي رحمه الله.

ولعل الباعث على تأليف هذا الكتاب هو نصرة ما كان عليه أبو حنيفة رحمه الله في باب العقيدة، وأنه على عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد اعتنى أهل العلم بكتاب أبي جعفر الطحاوي رحمه الله، وأَوْلُوه عنايتهم وشروحهم، ولعل أجل تلك الشروح هو شرح الطحاوية لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي رحمه الله.

فهو شرح هام جدًّا، ومفيد أيما إفادة؛ استوعب فيه الكلام وأكثر من ذكر الأدلة وتأصيل الأصول وقوة المناقشات، ودحض الشبهات(1)، لكنه جاء مطولًا قليلًا فجفَاه أكثر العوام بل وجل طلاب العلم، فشرعت في اختصار مفيد لهذا الشرح الجليل، أعرض صَفْحًا عما فيه من الإسْهاب والتطويل، وأقتصر على بعض ما صح فيه من الحديث، وأعمد الى الاختصار والتهذيب حتى يسهل على العوام ويَفِي بالمراد.

وقد أسميته "إسعاد البرية باختصار شرح الطحاوية"، والله المستعان وعليه التكلان.

وكتبه: أبو عبد الله ياسر العوامري

عملي في الكتاب

1-ذكر المتن الأصلي لكتاب العقيدة الطحاوية مستقلا عن الشرح.

[1] الكتابين – أقصد: العقيدة للطحاوي، وشرحه لابن أبي العز – في مجملهما على المعتقد الصحيح إلا أنه وقع منهما بعض المخالفات نذكرها في موضعها.

2-اختصار الشرح الأصلي للكتاب مُكتفيًا بما يحسن به فهم المتن دون شَطَط أو مَلَل.

3-الإعراض عن كثير من المناقشات العقلية أو النظرية - والتي يُجريها الشارح للتأصيل للمعتقد الصحيح - لثِقَل فهمها على كثير من الناس، ولأن بعضها يحتاج إلى شرح مستقل.

4-الاكتفاء بذكر بعض الأحاديث النبوية الصحيحة مما ساقه الشارح بما يفي ويُغْني والإعراض عن الأحاديث الضعيفة.

5- التخريج المختصر للأحاديث النبوية المذكورة.

6- قد أسوق الشرح بطريقة أو بلفظة لم يسقها الشارح – وذلك قليل جدًّا - تيسيرًا للفهم.

7-التعليق أو التبيين لبعض عبارات الشراح، وستجدها مميزة عن باقي تعليقات العلماء.

8-اعتمدت على نسختي وزارة الأوقاف بالمملكة، وطبعة المكتب الإسلامي لضبط الأصل.



فائدة

رأيت من النافع إلحاق بعض التعليقات الهامة لمن قام بشرح العقيدة الطحاوية من العلماء، فاقتبست منها جملًا ألحقتها في مواضعها من هذا التهذيب، وهؤلاء العلماء هم:

1- العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

2- العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

3- العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع رحمه الله.

4- العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

5-العلامة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله.

6-العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي حفظه الله.

ترجمة مختصرة للإمام الطحاوي صاحب المتن (239 - 321هـ):

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك الأزدي الحجري الطحاوي المصري، من طحا، قرية بصعيد مصر، محدث، فقيه مشهور بمؤلفه العقيدة الطحاوية، درس فقه الشافعية على خاله المزني، صاحب الإمام الشافعي، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة فتفقه على الفقيه الحنفي أحمد بن أبي عمران، رحل إلى الشام، فسمع الحديث ببيت المقدس وغزة وعسقلان ودمشق، وفيها تفقه على أبي حازم عبدالحميد بن عبدالعزيز، ثم عاد إلى مصر، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، روى عن يونس بن عبدالأعلى، وهارون بن سعيد الأيلي، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وإبراهيم بن أبي داود الضريس، وغيرهم، روى عنه ابنه علي، وسليمان بن أحمد الطبراني، وأبو الحسين محمد بن المظفر، ويوسف بن القاسم الميانجي، وأحمد بن عبدالوارث الزجاج، وعبدالعزيز بن محمد الجوهري وغيرهم، مصنفاته كثيرة؛ منها: شرح معاني الآثار، مشكل الآثار، اختلاف الفقهاء، المختصر في الفقه، والعقيدة وهي مشهورة باسم العقيدة الطحاوية، أحكام القرآن، الوصايا، المحاضر والسجلات وغيرها، دُفن في تربة بني الأشعث بمصر.

ترجمة مختصرة للإمام ابن أبي العز صاحب الشرح (731 - 792 هـ):

صدر الدين أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي الصالحي الحنفي،

درس الفقه الحنفي على يد والده القاضي علاء الدين علي بن أبي العز الحنفي، وصار من الفقهاء الحنفية المبرزين؛ لذا وكل إليه التدريس في عدة مدارس، ثم تولى منصب قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم عاد إلى منصبه بدمشق مرة أخرى، مصنفاته: منها "التنبيه على مشكلات الهداية" فقه، و"النور اللامع فيما يعمل به في الجامع"؛ أي: جامع بني أمية، والاتباع، وشرحه للعقيدة الطحاوية والذي يعد من أفضل شروحها، دفن بسفح قاسيون بالشام.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله:





(هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة(2): أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي(3)، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري(4)، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني(5) رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين: [الإيمان بالله تعالى]، نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له).

ش: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله))؛ [متفق عليه؛ البخاري (25)، ومسلم (22)]، فالصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله.

ولهذا فإن أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يُؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذٍ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبًا باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك، والتوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، الثاني: الكلام عن الأسماء والصفات، الثالث: توحيد الإلهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له.

[2] إن أهل السنة والجماعة من الأولين والآخرين عقيدتهم واحدة؛ لأنهم معتصمون بالكتاب والسنة، ومن خالفهم في معتقدهم صار مبتدعًا ضالًّا ولا يعذر باجتهاده؛ [محمد بن مانع].

[3] هو الإمام النعمان بن ثابت الكوفي ولد سنة 80 وأدرك جماعة من الصحابة، قال الخطيب: إنه رأى أنس بن مالك وكان رحمه الله عالمًا عاملًا زاهدًا عابدًا، ورعًا تقيًّا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، مات سنة 150هـ، وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي رحمه الله. [محمد بن مانع].

[4] أبو يوسف هو الإمام المتقن المجتهد المطلق أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري البجلي؛ ولد سنة 113، أخذ العلم عن الإمام أبي حنيفة وغيره وأخذ عنه العلم جماعة منهم الإمام أحمد رحمه الله، وولاه الرشيد القضاء، وظل عليه إلى أن مات سنة 183، ولما مات أبو يوسف أقر هارون الرشيد ابنه يوسف على القضاء إلى أن مات يوسف، ولما خرجت جنازة أبي يوسف جعل الناس يقولون: مات الفقه، مات الفقه؛ [محمد بن مانع].

[5] هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، كان الرشيد ولاه القضاء، وخرج مع الرشيد في سفره إلى خراسان فمات بالري، ودفن بها، كان أبوه من جند أهل الشام فقدم واسطًا فولد بها محمدًا سنة 132، ونشأ بالكوفة، وأخذ العلم عن أبي حنيفة ومالك وأبي يوسف وغيرهم، وكان له مجلس في الكوفة وهو ابن عشرين سنة، قال إبراهيم الحربي: قلت للإمام أحمد: من أين لك هذه المسائل الدقيقة؟ قال: من كُتُب محمد بن الحسن، مات رحمه الله بالري سنة 189؛ [محمد بن مانع].




أما الأول: وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم[6]، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، واعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية، الذي يتضمن توحيد الربوبية؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم: 30، 31]، وقال تعالى: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: 10]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))؛ [متفق عليه خ: (1323)، م: (2658)]، ولا يقال: إن معناه يولد ساذجًا لا يعرف توحيدًا ولا شركًا، كما قال بعضهم ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل: ((إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتالتهم عن دينهم))؛ [م: (2865)]، وفي الحديث المتقدم ما يدل على ذلك؛ حيث قال: ((يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))، ولم يقل: (ويُسْلمانه)، وفي رواية: ((يولد على الملة)).

والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم ألَّا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلًا على الثاني، إذ كانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى؟ كقوله تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: 59، 60]، يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾؛ أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك.

---

6 كان هذا مقررًا حتى عند كفار قريش؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: 61]، لكن ظهر من ادعى غير ذلك ممن يسمون بالدهرية القائلين: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الفاتحة: 24]، ومن اقتفى أثرهم من الملاحدة والشيوعية وأصحاب الطبيعة الذين يزعمون أن الكون أوجد نفسه وأنه لا خالق له، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ولما كان الشرك في الربوبية موجودًا في الناس، بين القرآن بطلانه؛ كما في قوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: 91]، فتأمل هذا البُرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذٍ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه.

فلا بد من أحد ثلاثة أمور: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه، وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: 22].

الثاني: توحيد الأسماء والصفات (توحيد الإثبات والمعرفة) هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول (الحديد) و(طه)، وآخر (الحشر)، وأول (آلم تنزيل السجدة)، وأول (آل عمران)، وسورة (الإخلاص) بكمالها، وغير ذلك.

الثالث: توحيد الألوهية (توحيد الطلب والقصد) مثلما تضمنته سورة: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾، و﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران: 64].

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد(7)- أي: توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات - بل كل سورة في القرآن.

---

[7] إن نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك:

الأول: الشرك في الربوبية، وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقًا آخر - سبحانه وتعالى - كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأن للشر خالقًا غير الله سبحانه، وهذا النوع في هذه الأمة قليل، والحمد لله.

الثاني: الشرك في الألوهية أو العبودية، وهو أن يعبد مع الله غيره من الأنبياء والصالحين، كالاستغاثة بهم وندائهم عند الشدائد ونحو ذلك، وهذا مع الأسف في هذه الأمة كثير.

الثالث: الشرك في الصفات، وذلك بأن يصف بعض خلقه تعالى ببعض الصفات الخاصة به عز وجل كعلم الغيب مثلًا، وهذا النوع منتشر في كثير من الصوفية، ومن تأثر بهم؛ [الألباني].

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخَلع ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العُقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد وقد شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله؛ قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 18]، فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد، بأجل مشهود به.

قوله: (ولا شيء مثله).

ش: اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ولكن لفظ التشبيه(8) قد صار في كلام الناس لفظًا مجملًا يُراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يُوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يُماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد على الممثلة المشبهة ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، رد على النفاة المعطلة(9)، فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق، فهو نظير النصارى في كفرهم، وهم يوافقون أهل السنة على أنه عليم قدير حي، والمخلوق يقال له: حي عليم قدير، ولا يُقال: هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه عاقل.

قوله: (ولا شيء يعجزه).

ش: لكمال قدرته؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 20].

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: 44]، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255]، لا يئوده: أي لا يُثقله ولا يُعجزه، فهذا النفي لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلًا، والنفي مجملًا عكس طريقة أهل الكلام المذموم؛ فإنهم يأتون بالنفي المفصل

8 يفرق أهل العلم رحمهم الله تعالى بتفريق دقيق بين التشبيه وبين التمثيل أو التكييف.

فالتشبيه هو أن أشبه الله – أو صفة من صفاته – بأحد من خلقه، كقولهم قدرته كقدرة فلان وعلمه كعلم فلان.

أما التمثيل أو التكييف فهو وصفهم للكيفية في اتصافه سبحانه بالصفة، كقولهم ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كنزول الأمير من على الفرس، أو تفسيرهم للاستواء بأنه النوم على السرير.

9 المبتدعة والمتأولة قد اتخذوه أصلًا لإنكار كثير من صفات الله تبارك وتعالى، فكلما ضاقت قلوبهم عن الإيمان بصفة من صفاته عز وجل سلطوا عليها معاول التأويل والهدم، فأنكروها، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ متجاهلين تمام الآية: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:11]، فهي قد جمعت بين التنزيه، والإثبات، فمن أراد السلامة في عقيدته فعليه أن ينزه الله تعالى عن مشابهته للحوادث، دون تأويل أو تعطيل، وأن يثبت له عز وجل من الصفات كل ما أثبته لنفسه في كتابه أو حديث نبيه دون تمثيل، وهذا هو مذهب السلف وعليه المصنف رحمه الله تبعًا لأبي حنيفة وسائر الأئمة، كما تراه مفصلًا في الشرح، ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:90]؛ [الألباني].

والإثبات المجمل، وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك؛ لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقًا، وإنما تكون مادحًا إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله.

قوله: (ولا إله غيره).

ش: إثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الإحتمال؛ ولهذا – والله أعلم – لما قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة: 163]، قال بعده: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 163]، فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هَبْ أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره؛ فقال تعالى: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 163].

قوله: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء).

ش: قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ [الحديد: 3].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء))؛ [م: (2713)]، فقول الشيخ قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء هو معنى اسمه الأول والآخر، لكن أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم(10)، وليس هو من الأسماء الحسنى(11)، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعَتيق، وهذا حديث للجديد ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسْبقه عَدَم، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف وجاء الشرع باسمه الأول، والله تعالى له الأسماء الحُسنى لا الحسنة.

10 جاء لفظ القديم مقرونًا بالصفة وليس وصفًا لله سبحانه، كما في الحديث: ((وسلطانه القديم))، وعليه فتقول: سمعه القديم، وبصره القديم، وعلمه القديم، فوصفك لصفاته بالقدم ترد على من ادعى أنها محدثة – وإن كان الأولى عدم ذكرها؛ لأن مثل هذه العبارات وإن صحت معنى، لكن يعوزها نصوص التوقيف – لكن لا يوصف الله سبحانه بالقديم؛ لأن مثل هذا الوصف له سبحانه لا بد له من دليل فأسماؤه سبحانه وصفاته توقيفية.

11 هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح رحمه الله وغيره وإنما ذكره كثير من علماء الكلام ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء، وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة، ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي، كما نص على ذلك أئمة السلف الصالح؛ [عبدالعزيز بن باز].

قوله: (لا يَفْنى ولا يَبِيد).

ش: إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى؛ قال عز وجل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: 26، 27].

والفناء والبَيد متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذكر للتأكيد.

قوله: (ولا يكون إلا ما يريد).

ش: هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود، لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، وهي مسألة القَدَرِ المشهورة.

وسموا قَدَرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًا، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

أما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرًا فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها(12)، وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية قدرية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات(13)، وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمْره، يعجز عن معرفته عقول البشر.

---

[12] يخلق الخير لحكمة، ويخلق الشر لحكمة، فهو من جهة خلقه له ليس بشر؛ لأنه لحكمة عظيمة، ولغاية عظيمة، وهي الابتلاء والامتحان، وتمييز الخبيث من الطيب، والجزاء على الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال السيئة، له الحكمة في ذلك سبحانه وتعالى، لم يخلق ذلك عبثًا؛ [صالح الفوزان].

13 فما أوجده الله في كونه إنما يكون بتقديره سبحانه وإرادته، فلا يقع في كونه إلا ما يريد.

على أن هذا التقدير على قسمين:

الأول: تقدير يحبه الله ويرضاه ويأمر به عباده (الإرادة الشرعية)؛ كقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: 56]، الثاني: تقدير لا يحبه ولا يرضاه، لكن قدره لحكمة لا يعلمها إلا هو (الإرادة الكونية)؛ كقوله: ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: 7]، فالكفر لا يقع إلا إذا قدره الله، لكن وقوعه لا يدل على محبة الله له، وهذا يرد على من يستدل بوقوع الحرام على جوازه بحجة أن الله لو لم يجزه لما أوجده، وهذا الفهم ناشئ عن اختلاط كل من المشيئتين عليه، فتنبه فالله قدره – نعم – لكن لا يأمر به. إذًا لم قدره؟ لحكمة يعلمها سبحانه، وقد يُقال، إنما أوجدها للابتلاء والاختبار؛ كما قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: 7 – 10].

قوله: (لا تبلغه الأوهام، ولا تُدرِكُه الأفهام).

ش: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: 110]؛ أي: لا ينتهي إليه وَهْم، ولا يُحيط به عِلْم، قيل: الوهم ما يُرجى كونه؛ أي: يُظن أنه على صفة كذا، والفِهْم: هو ما يحصله العقل ويحيط به(14).

والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحد، صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

قوله: (ولا يشبهه الأنام).

ش: ليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع، بل هذا رد لقول المشبهة، الذين يشبهون الخالق بالمخلوق سبحانه؛ قال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، ومن كلام أبي حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر: "لا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه"، ثم قال بعد ذلك: "وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كَعِلْمنا، ويقدر لا كَقُدْرتنا، ويرى لا كرُؤيتنا"؛ [انتهى]، وقال نعيم بن حماد: "من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه"، وقال ابن راهويه: "من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم".

قوله: (حي لا يموت قيوم لا ينام).

ش: قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: 255]، فنفْيُ السِنَة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته؛ وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام...))؛ [م: (179)]، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه؛ فمن ذلك: أنه حي لا يموت، لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى، دون

---

[14] الوهَم – يعني ما يتوهمه الإنسان – غير ما يفهمه، فالوهم راجع للخيال، والفهم راجع للأقيسة والمقارنات؛ ولهذا الرب – عز وجل – لا يمكن تَخَيُّلُهُ، ولا يمكن أيضًا أنْ يُفَكَّرَ فيه فَيُدْرَكْ؛ [صالح آل الشيخ].

قلت: ولذا نُهينا شرعًا أن نترك لعقولنا العنان في التفكر في ذات الله فعقولنا قاصرة، وما نتفكر به فوق حدودها وطاقتها؛ كما أخرج البخاري (3276)، ومسلم (134)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)).

خلقه فإنهم يموتون، ومنه: أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة، دون خلقه فإنهم ينامون، ويدل القيوم على كونه موجودًا بنفسه، أو يفيد قيامه بنفسه و تُفيد إقامته لغيره وقيامه عليه، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوف، بصفات الكمال، لكمال ذاته، فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة.

قوله: (خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة)(15).

ش: قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: 56 - 58]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: 15]، وقال صلى الله عليه وسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه؛ قال الله عز وجل: ((يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنْسكم وجِنكم كانوا على أتْقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخِركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نَقص ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخِركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط اذا أُدخل البحر...؛ الحديث))؛ [رواه مسلم: 2577]، وقوله (بلا مؤنة): بلا ثقل ولا كلفة.

قوله: (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة).

ش: قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: 2](16)، وجاء في الحديث: ((أنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيُذبح بين الجنة والنار))؛ [متفق عليه؛ خ: (4545)، م: (2849)].

15 خلقهم لا لحاجة إليهم بأن ينصروه أو ليعينوه أو ليساعدوه سبحانه أو يحموه، إنما خلقهم لعبادته، وهم المحتاجون للعبادة؛ لتصلهم بالله وتربطهم بربهم، فالعبادة صلة بين العبد وربه، فتقربه من الله، ويحصل بها من الله على الثواب والجزاء، فالعبادة حاجة للخلق وليست بحاجة لله عز وجل؛ [صالح الفوزان].

16 فإماتة الخلائق وإحياؤهم لا تعجزه، كما لم يعجزه خلقهم من العدم؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: 38]؛ وقال صلى الله عليه وسلم: ((قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني، كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئًا أحد))؛ [صحيح البخاري (4974)].



قوله: (ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صِفَته، وكما كان بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا).

ش: أي: إن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصِفَ بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده.

قوله: (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مَربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق).

ش: يعني أنه تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يُوجد مَربوب، وموصوف بأنه خالق قبل أن يوجد مخلوق(17).

قوله: (وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم).

ش: يعني أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم.

قوله: (ذلك بأنه على كل شيء قدير(18) (19)، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير).

---

17 فلا يقال: إنه تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، أو خلق بعد أن لم يكن خالقًا، أو عالم بعد أن لم يكن عالمًا، أو رازق بعد أن لم يكن رازقًا، إنما يقال: إنه خالق قبل أن يخلق أحدًا – بل ولو لم يخلق – ورازق قبل أن يرزق أحدًا – بل ولو لم يرزق – وأن عدم إظهاره للصفة في وقت ما – أو على الدوام – لا يكون لعجز، إنما يكون لعدم حاجته إليها في ذلك الوقت؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: 118].

18 يجيء في كلام بعض الناس وهو على ما يشاء قدير، وليس ذلك بصواب بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنة وهو على كل شيء قدير، لعموم مشيئته وقدرته تعالى خلافًا لأهل الاعتزال الذين يقولون: إن الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصي بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله؛ [محمد بن مانع].

19 دلَّ قوله تعالى في آخر الحديث: ((ولكني على ما أشاء قادر أو قدير)) على خطأ ما جاء في التعليق على العقيدة الطحاوية (ص: 20)، نقلًا عن بعض الأفاضل: "يجيء في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير، وليس بصواب..."، فأقول: بل هو عين الصواب بعد ثبوت ذلك في هذا الحديث، لا سيما ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: 29]، وذلك لا ينافي عموم مشيئته وقدرته تعالى كما توهم المشار إليه، والله أعلم؛ [الألباني].

ش: ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزَل.

وقد حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 284]، فقالوا: إنه قادر على كل ما هو مَقْدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم، وأما أهل السنة، فعندهم أن الله على كل شيء قدير وكل ممكن فهو مندرج في هذا.

وأما المحال لذاته، مثل كون الشيء الواحد موجودًا معدومًا في حال واحدة، فهذا لا حقيقة له ولا يُتصور وجوده، ولا يسمى شيئًا، باتفاق العقلاء.

وهنا أمور أربعة: الأول: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه وتعالى، سواء علمها العباد أو لا. الثاني: وجودها في العلم والشعور، الثالث: ذكر صفاته وتنزيهها من العيوب والنقائص والتمثيل، الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده، والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

قوله: (خلق الخلق بعلمه).

ش: خلق: أي: أوجد وأنشأ وأبْدَع، وقوله: بعلمه؛ أي: خلقهم عالمًا بهم - قبل أن يخلقهم(20) - قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14]، وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: 59].

قوله: (وقدر لهم أقدارًا)(21).

ش: قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49].

قلت: يجمع بين القولين بأن من أجاز هذه الجملة إنما أجازها لثبوتها في الكتاب والسنة، أما من نفاها فإنما نفى معنى خطأ قد يفهم منها؛ وهو أن ما يشاءه الله فقط يقدر على إنفاذه وما لم يشأه يعجز عن إنفاذه - إضافة لما ادعته المعتزلة بتخصيص قدرة الله ومشيئته للخير دون الشر فيزعمون أن طاعة الطائع بمشيئة الله أما معصية العاصي فليست بمشيئته سبحانه - وفي مثل هذا الفهم نوع من الاتهام لله عز وجل ببعض العجز - تعالى الله عن ذلك - فهو على كل شيء قدير ولو لم يشأ إنفاذه، وكمثال للتوضيح نقول: إن الله عز وجل شاء للصحابة يوم أحد الهزيمة، فهل يقال أنه كان عاجزًا عن نصرتهم ذلك اليوم لأنه لم يشأه؟

20 أي: يعلم قبل أن يخلقهم كيف ستكون خلقتهم - من شكل، ولون، وحجم - وما يكون عليه عملهم، وعاقبة أمرهم.

21 هناك ضوابط لفهم أمر القضاء القدر: أولًا: القدر هو تقدير الله على عباده من خير وشر ونفع وضر، ولا بد من وقوعه كما قدر، ثانيًا: العباد لهم مشيئة واختيار لأفعالهم التي يفعلونها كي يحاسبوا عليها، لكنها لا تخرج عن مشية الله وتقديره الذي قدره، ثالثًا: لا يعلم القدر إلا بعد وقوعه فإذا وقع، فللمرء حالتان: الرضا والحمد والثواب، أو الغضب والتسخط والعقاب.

.

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: 38]، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة))؛ [م: (2653)].

قوله: (وضرب لهم آجالًا).

ش: يعني: أن الله قدر آجال الخلائق، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون؛ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: 34]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: 145]، عن عبدالله بن مسعود قال: ((قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها: اللهم أمْتِعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سألتِ الله لآجال مَضْروبة، وأيام مَعْدودة، وأرزاق مَقْسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يُعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل))؛ [م: (2663)]، فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب(22).

قوله: (ولم يخْفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم).

ش: فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام: 28]، وإن كان يعلم أنهم لا يُردون، ولكن أخبر أنهم لو رُدوا لعادوا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: 23]، وفي ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويُوجده(23).

22 من الخطأ المنتشر بين الناس في التعزية اليوم، قولهم: (البقية في حياتك) وهذا خطأ لأمرين:
الأول: أنه لن يموت حتى يستوفي كل رزقه وحياته وكسبه، فإذا ما استوفى ذلك كله قبض، فليس له بقية من حياة ولو لحظة،
الثاني: أن الحياة لا تنتقل من إنسان إلى آخر حتى يقال: (البقية في حياتك)، فهذا تخبط وخلل في المعتقد، لا بد أن يصحح، فالمقتول لو لم يقتل لمات بأي سبب آخر لأن حياته قد انتهت.

23 بل علم ما هم عاملون قبل خلقهم – لكمال علمه – لكن ترك لهم الاختيار في أفعالهم التي سيحاسبون عليها في الآخرة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات: 37 – 41].

قوله: (وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته).

ش: ذكر الشيخ الأمر والنهي، بعد ذكره الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: 2].

قوله: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنْفَذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن).

ش: قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: 30]، وقال: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: 29]، إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن(24)، وكيف يكون في ملكه ما لا يشاء، ومن أضل سبيلًا وأكْفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فإن قيل: فما يقولون في احتجاج آدم على موسى عليهما السلام بالقدر، إذ قال له: ((أتلومني على أمر قد كتبه الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين عامًا؟))، وشهد النبي صلى الله عليه وسلم أن آدم حَج موسى؛ أي: غلب عليه بالحجة؟

قيل: الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، إنما احتج آدم بالقدر على المصيبة، فإن القدر يُحتج به عند المصائب، لا عند المعائب، ولقد أحسن القائل: (فما شِئْتَ كان وإن لم أشأ، وما شِئْتُ إن لم تشأ لم يكن).

قوله: (يهدي من يشاء، ويعْصِم ويُعافي، فضلًا، ويُضل من يشاء ويخذُل ويبتلي، عدلًا).

24 يجب أن يعلم أنه لا يلزم من ذلك أن الله يحب كل ما يقع، فالحب غير الإرادة، وإلا كان لا فرق عند الله تعالى بين الطائع والعاصي وهذا ما صرح به بعض كبار القائلين بوحدة الوجود من أن كلًّا من الطائع والعاصي مطيع لله في إرادته، ومذهب السلف والفقهاء وأكثر المثبتين للقدر من أهل السنة وغيرهم على التفريق بين الإرادة والمحبة؛ [الألباني].

ش: هذا رد على المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله(25)، والدليل على ما قُلناه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: 56]، ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه صلى الله عليه وسلم بين الطريق لمن أحب وأبغض؛ وقوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [المدثر: 31].

قوله: (وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدْله).

ش: من هداه إلى الإيمان فبفضله، وله الحمد، ومن أضله فبعَدْله، وله الحمد.

قوله: (وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد).

ش: الضد: المخالف، والند: المِثْل، فهو سبحانه لا مُعارض له، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا مثل له؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 4]، ويشير الشيخ رحمه الله - بنفي الضد والند - إلى الرد على المعتزلة، في زعمهم أن العبد يخلق فِعْلَه.

قوله: (لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره).

ش: أي: لا يرد قضاء الله راد، ولا يعقب — أي: لا يؤخر حكمه - مؤخر، ولا يغلب أمره غالب، بل هو الله الواحد القهار.

قوله: (آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلًّا من عنده).

ش: أما الإيمان فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى، والإيقان: الاستقرار، من قر الماء في الحوض إذا استقر؛ أي: كل كائن محدث من عند الله؛ أي: بقضائه وقدره، وإرادته ومشيئته وتكوينه.

قوله: (وإن محمدًا عبده المصطفى ونبيه المجْتَبى ورسوله المرْتضى(26)).

---

25 المقصود بقولهم: (وجوب فعل الأصلح للعبد على الله)؛ أي: يجب على الله أن يقدر على كل عبد الأصلح له، فإذا فعل المرء ذنبًا أو معصية أو كبيرة أو كفرًا، قالوا: بقدر الله، فلن يحاسبه لأن هذا هو الأصلح له، وإلا لما قدره الله عليه، ففعلوا الموبقات وأشركوا بالله وقالوا بقدر الله فعلنا، وإلا لما قدره علينا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

26 اعلم أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، وقد ذكروا فروقًا بين الرسول والنبي، تراها في [تفسير الألوسي (5/ 449 – 450، وغيره]، ولعل الأقرب أن الرسول من بعث بشرع جديد والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى، كما لا يخفى؛ [الألباني].

ش: الاصْطِفاء والاجْتِباء والارْتِضاء: متقارب المعنى، واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية، ازداد كماله وعلَتْ درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، فهو من أجهل الخلق وأضلهم.

قوله: (وإنه خاتم الأنبياء).

ش: قال تعالى: ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: 40]، وعن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي))(27).

قوله: (وإمام الأتقياء).

ش: هو صلى الله عليه وسلم، الإمام الذي يُؤْتَم به؛ أي: يقتدون به والنبي صلى الله عليه وسلم إنما بعث للاقتداء به؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31]، وكل من اتبعه، واقتدى به، فهو من الأتقياء.

قوله: (وسيد المرسلين).

ش: قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشَفع))؛ [رواه مسلم (2278)].

وروى مسلم (2276) والترمذي (3606) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)).

قوله: (وحبيب رب العالمين).

ش: ثبت له صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المحبة وهي الخلة؛ كما صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله: ((لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، إن صاحبكم خليل الله))؛ [م:

[27] قلت: هذه زيادة في آخر حديث ثوبان المشهور عند مسلم 2889: ((إن الله زوى لي الأرض)) لكنه لم يروِ الزيادة، إنما رواها [أبو داود 4252، وابن ماجه 2952، وأحمد 5/ 278، وغيرهم بسند صحيح على شرطه]، قلت: وقد كثر مدعو النبوة سواء في حياته صلى الله عليه وسلم كالأسود العنسي، أو بعد وفاته كمسيلمة الكذاب.

(2382)]، وفي رواية عند مسلم (2382) أيضًا: ((إني أبرأ إلى كل خِلٍّ من خِله))، والمحبة قد ثبتت لغيره؛ قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: 134]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 76]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: 222]، فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد(28)، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة.

قوله: (وكل دعوى النبوة بعده فغي وهَوى).

ش: لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب، ومن المحال أن يأتي مدعي النبوة ولا يظهر أمارة كذبه.

قوله: (وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى وبالنور والضياء).

ش: أما كونه مبعوثًا إلى عامة الجن؛ فقال تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ [الأحقاف: 31]، وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضًا، والرسل من الأنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف.

وأما كونه مبعوثًا إلى كافة الورى؛ فقد قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: 28]، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل، وأُحلت لي الغنائم، ولم تُحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة))؛ [متفق عليه؛ خ: (328)، م: (521)]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يسمع أحد بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به - إلا كان من أصحاب النار))؛ [م: (153)]، وقوله: بالحق والهدى وبالنور والضياء، هذه أوصاف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين والشرع المؤيد بالبراهين الباهرة من القرآن وسائر الأدلة.

---

28 هو خليل رب العالمين، فإن الخلة أعلى مرتبة من المحبة وأكمل؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا))؛ ولذلك لم يثبت في حديث أنه - صلى الله عليه وسلم - حبيب الله، فتنبه؛ [الألباني].

قوله: (وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابَهُ وأوْعَدَه بسَقَر؛ حيث قال تعالى: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: 25] - علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر).

ش: هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، وهو أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة(29)، وقوله: كلام الله منه بدا بلا كيفية قولًا؛ أي: ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله قولًا.

ففي هذا إثبات صفة الكلام، وإثبات الرؤية، وإثبات العلو، وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به، وبالجملة، فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق؛ قال الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر: "والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسُن مقروء، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق والقرآن غير مخلوق".

والطحاوي رحمه الله يقول: "كلام الله منه بدا"، وكذلك قال غيره من السلف ويقولون: "منه بدا، وإليه يعود"؛ منه بدا؛ أي: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، وإليه يعود: يُرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، وقوله: ومن سمعه، وقال: إنه كلام البشر، فقد كفر، لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، وقوله: ولا يشبه قول البشر، يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق.

قوله: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، من أبْصر هذا اعْتَبر، وعن مثل قول الكفار انْزَجر، علم أنه بصفاته ليس كالبشر).

[29] القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه: فلا يقال القرآن اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة؛ [محمد بن مانع].




ش: نبه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفيًا للتشبيه عقيب الإثبات، يعني أن الله تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلمًا، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقوله: فمن أبصر هذا اعتبر؛ أي: من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف ونفي التشبيه ووعيد المشبه، اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.

قوله: (والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: 22، 23]، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا(30)، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد عِلْمَ ما اشْتبه عليه إلى عالِمِه).

ش: قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: 22، 23]، وهي من أظهر الأدلة على ذلك؛ وكما جاء عن صهيب قال: ((قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: 26]، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنْجِزَكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا ويُبيض وجوهنا ويُدخلنا الجنة ويُجِرْنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر اليه))؛ [م: (297) بنحوه، ورواه بلفظه الترمذي (2552)، وابن ماجه (187)، وأحمد (4/ 332)].

---

30 أنَّ الدّين قائم على البرهان. والأمور التي يتعاطاها النَّاس ثلاثة: 1– أمور عاطفية؛ يعني برهانُها العاطفة، الغرائز، يعرف الجوع، يعرف العطش، يعرف الخوف، يعرف الرحمة بعاطفته. 2– برهان عقلي وهي الأمور التي يتعاطاها بعقله فيقيس ويُعَلِّل ونحوه من الأمور العقلية، وهي التي خدمها المنطق بشكل عام. 3– البراهين الدّينية، والبرهان الدّيني مبني على مقدمة، وهي مقدمة الاستسلام لمصدر التلقي –وهو الكتاب والسنة– ولهذا لا يصحّ أن يُخْلَطَ بين هذه البراهين، فالدّين ليس مصدره العقل ولا العاطفة، وإنما مصدره نوع من البراهين. (صالح آل الشيخ

وقوله: والرؤية حق لأهل الجنة، تخصيص أهل الجنة بالذكر، يفهم منه نفي الرؤية عن غيرهم(31)، وقد اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة؛ لذلك روى مسلم في صحيحه (178) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه))، وقد روى مسلم أيضًا (179) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: ((قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات، فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القِسْط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حِجَابه النور – وفي رواية: النار – لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))، فيكون – والله أعلم – معنى قوله لأبي ذر: ((رأيت نورًا)) أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: ((نور أنى أراه))؛ النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه؟ أي: فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

وقوله: بغير إحاطة ولا كيفية هذا لكمال عظمته وبهائه، سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به؛ قال تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: 103](32)، وقوله: وتفسيره على ما أراد الله وعلمه، فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة(33).

والفاسد المخالف له لذلك يقال: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل(34).

---

31 الرؤية قبل دخول الجنة فيها ثلاثة أقوال لأهل العلم: القول الأول: أن المؤمنين يرون ربهم في المحشر في الموقف في المحشر قبل دخول الجنة لا يراه إلا المؤمنون خاصة، القول الثاني: أنه يراه أهل الموقف جميعًا مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفرة فلا يرونه بعد ذلك، القول الثالث: أنه يراه المؤمنون والمنافقون لما ثبت في حديث الصحيح في صحيح البخاري بل في الصحيحين: من أن الكفرة يساقون إلى النار وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، وأن الله يتجلى لهم؛ [عبدالعزيز الراجحي].

32 هناك فرق دقيق بين نفي الإدراك والإحاطة وبين نفي الرؤية، فالرؤية حق لأهل الإيمان لكن بغير إدراك ولا إحاطة، فرؤية الشمس في السماء هي رؤية حقيقية لأننا نراها بأعيننا لكنها بغير إحاطة فلا نعلم قطرها وحجمها وتفاعلاتها ودرجة حرارتها بمجرد النظر إليه، فمن باب أولى رؤية رب العالمين في الآخرة رؤية لكن بغير إحاطة وإدراك لذاته سبحانه.

33 السلفية إذا كانوا ملتزمين بما عليه السلف الصالح بما عليه الصحابة والتابعون بما عليه أهل السنة والجماعة بما عليه الفرقة الناجية – فهم على الحق؛ لأن النبي قال لما بين الفرق وأن هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثلما أنا عليه اليوم وأصحابي))، هذا هو الميزان، الميزان هو ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة الكرام والسلف الصالح، وهم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية؛ [عبدالعزيز الراجحي].

34 نفاة الصفات والرؤية من المعتزلة وغيرهم إنما ينفونها تنزيهًا لله تعالى بزعمهم عن التشبيه، وهذا زلل وزيغ وضلال، إذ كيف يكون ذلك تنزيهًا، وهو ينفي عن الله صفات الكمال ومنها الرؤية، إذ المعدوم هو الذي لا يرى، فالكمال في إثبات الرؤية الثابتة في

قوله: (ولا تثبت قَدَم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام).

ش: أي: لا يثبت إسلام من لم يُسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يُعارضها برأيه ومعقوله وقياسه؛ روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: ((من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التسليم))؛ [خ: معلقًا (9/ 154)].

قوله: (فمن رَامَ عِلْمَ ما حُظِرَ عنه عِلمه، ولم يقْنَع بالتسليم فِهْمُه، حجَبه مُرامُه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان)(35).

ش: هذا تقرير للكلام الأول، وزيادة تحذير أن يتكلم في أصول الدين – بل وفي غيرها – بغير علم؛ وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج: 3، 4]، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصْم))؛ [متفق عليه: خ: (2383)، م: (2668)].

قوله: (فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، شاكًّا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا).

ش: يتذبذب: يضطرب ويتردد، وهذه الحالة التي وصفها الشيخ رحمه الله حال كل من عَدَلَ عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك.

قوله: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوَهْم، أو تأولها بفِهم، إذ كان تأويل الرؤية – وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية – بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوَق النفي والتشبيه، زَل ولم يُصِب التنْزيه).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على المعتزلة ومن يقول بقولهم في نفي الرؤية، وعلى من يشبه الله بشيء من مخلوقاته، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنكم سترون ربكم كما ترون القمر

الكتاب والسنة والمشبهة إنما زلوا لغلوهم في إثبات الصفات وتشبيه الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى، والحق بين هؤلاء وهؤلاء إثبات بدون تشبيه، وتنزيه بدون تعطيل، وما أحسن ما قيل: المعطل يعبد عدمًا، والمجسم يعبد صنمًا؛ [الألباني].

35 من أدخل نفسه في الكلام في مشيئة الله وتقديره – بل وأسمائه وصفاته – بغير علم صحيح من الكتاب والسنة، واعتمد على الفلسفة وعلم الكلام – كحال بعض فرق الضلال – أبعده ذلك عن الفهم السليم والعلم الصحيح إلى التخبط والتيه والشك، وعلى هذا تجد أكثر فرق الضلال ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: 24].

ليلة البدر))؛ [صحيح رواه الترمذي (2554) بهذه الزيادة: ((ليلة البدر))، وهو في الصحيحين: خ: (541)، م: (633) بدونها]، قوله: ومن لم يتوَق النفي والتشبيه، زَل ولم يُصِب التنْزيه هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي، وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال؟ فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم لا يرى، وإنما الكمال في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة.

كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمال، وإنما الكمال في إثبات العلم ونفي الإحاطة به علمًا، فهو سبحانه لا يُحاط به رؤية كما لا يُحاط به علمًا.

قوله: (ومن لم يتوَق النفي والتشبيه، زَل ولم يُصِب التنْزيه).

ش: النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب[36]، فإن أمراض القلوب نوعان:

مرض شُبْهة، ومرض شهوة، وكلاهما مذكور في القرآن؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: 32]، فهذا مرض الشهوة، وقال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: 10]، فهذا مرض الشُبْهة، وهو أردأ من مرض الشهوة، إذ مرض الشهوة يُرجى له الشفاء بقضاء الشهوة، ومرض الشُبْهة لا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته.

قوله: (فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنُعُوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى تنزيه الرب تعالى بالذي هو وصفه كما وصف نفسه نفيًا وإثباتًا، وكلام الشيخ مأخوذ من معنى سورة الإخلاص، فقوله: موصوف بصفات الوحدانية مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: 1، 2]، وقوله: منعوت بنعوت الفردانية من قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: 2، 3]، وقوله: ليس في

---

[36] والنفي أقسام:

1- نفي يَتَوَجَّهُ لأصل الصفة: فينفي أَصْلًا اتصاف الله – عز وجل – بالصفة كالسمع والبصر.

2- نفي يَتَوَجَّهُ لظاهر الصفة: فيقولون نثبت الصفة لكن ظاهرها غير مراد فيقولون: نثبت الاستواء لكن ليس على ظاهره.

3- نفي يَتَوَجَّهُ لكيفية الصفة: وهو منهج أهل السنة والجماعة فإننا ننفي العلم بالكيفية؛ لأنَّ الله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].

4- نفي يَتَوَجَّهُ إلى معنى الصفة: يُثْبِتُ كثيرون الصفة لكن ينفون المعنى؛ [صالح آل الشيخ].

معناه أحد من البرية من قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 4]، وهو أيضًا مؤكد لما تقدم من إثبات الصفات ونفي التشبيه.

قوله: (تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)(37).

ش: إن الناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ على ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبين، ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي.

وأما لفظ الجهة، فقد يُراد به ما هو موجود، وقد يُراد به ما هو معدوم ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق.

فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع، عالٍ عليه(38)؛ قال سهل بن عبدالله التستري وقد سئل عن ذات الله: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي

---

[37] مراده بالحدود يعني: التي يعلمها البشر؛ فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه؛ لأن الخلق لا يحيطون به علمًا؛ كما قال عز وجل في سورة طه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه: 110]، ومن قال من السلف بإثبات الحد في الاستواء أو غيره، فمراده حد يعلمه الله سبحانه ولا يعلمه العباد، وأما (الغايات والأركان والأعضاء والأدوات)، فمراده رحمه الله تنزيهه عن مشابهة المخلوقات في حكمته وصفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم ونحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بذلك، لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، وقوله: (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) مراده الجهات الست المخلوقة، وليس مراده نفي علو الله واستوائه على عرشه؛ لأن ذلك ليس داخلًا في الجهات الست، بل هو فوق العالم ومحيط به، وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوه سبحانه وأنه في جهة العلو وأجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأتباعهم بإحسان على ذلك، والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة كلها تدل على أنه في العلو سبحانه، فتنبه لهذا الأمر العظيم أيها القارئ الكريم، واعلم أنه الحق وما سواه باطل، والله ولي التوفيق؛ [عبدالعزيز بن باز].

[38] يمكن تلخيص الكلام في الجهة بأمرين:

الأول: أن الله لا تحويه الجهات الست – المقصود: يمين، وشمال، وأمام، وخلف، وأعلى، وأسفل – التي يعرف بها المخلوق فيقال طوله كذا، وعرضه كذا، وارتفاعه كذا، فالله خالق المكان فلا يحويه ذلك المكان ولا يحيط به.

الثاني: أن الله استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، ومعلوم أن العرش فوق السماوات والأرض – كما سيأتي في حديث المعراج – فإذا علم ذلك ناسب أن يرفع العبد يديه إلى السماء عند الدعاء وأن يقال الله في السماء أي جهتها لأنها عالية عن الأرض، والعرش عالٍ عنهما، ولا ينبغي أن يفهم أن قولنا: في السماء، بمعنى أن السماء تحيط به، تعال الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

موجودة بحقائق الإيمان، من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهرًا في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كُنْه ذاتِه، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار، من غير إحاطة ولا إدراك نهاية، لكن بقي في كلامه شيئان: أن إطلاق مثل هذا اللفظ - مع ما فيه من الإجمال والاحتمال - كان تركه أولى، وإلا تُسلطَ عليه، وأُلزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية ونفي جهة العلو، وإن أجيب عنه بما تقدم، من أنه إنما نفى أن يحويه شيء من مخلوقاته، فالاعتصام بالألفاظ الشرعية أولى.

قوله: (والمعراج حق، وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة، إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى).

ش: المعراج: أي الآلة التي يُعرج فيها، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغَيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته، والذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة، بعد البعثة، قبل الهجرة بسنة، وقيل: بسنة وشهرين، وكان من حديث الإسراء: أنه صلى الله عليه وسلم ((أُسرِي بجسده في اليقظة، على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكبًا على البراق، صحبه جبريل عليه السلام، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم عُرِجَ من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عُرِجِ به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسلم عليهما، فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته ثم عرج به إلى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عُرج إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رُفِع له البيت المعمور، ثم عُرج به إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه، وفرض عليه خمسين صلاة فرجع حتى مر على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: بخمسين صلاة، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف

لأمتك، فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار: أن نعم، إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به إلى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه — هذا لفظ البخاري وفي بعض الطرق - فوضع عنه عشرًا، ثم نزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد اسْتَحْييت من ربي، ولكن أرضى وأُسَلِم، فلما نفذ، نادى منادٍ: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي))، حديث الإسراء جاء متفرقًا في غير ما رواية، وانظر: [خ: (345)، م: (263)].

قوله: (والحوض - الذي أكرمه الله تعالى به غياثًا لأمته - حق).

ش: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًّا.

منها: ما رواه البخاري (6362)، ومسلم (2303) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء))، وعنه أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليَرِدن عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورُفِعوا إليَّ اختَلَجوا دوني، فلأقولن: أُصَيْحابي أُصَيْحابي، فليُقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك))؛ [م: (2304) بلفظه، خ: (6353) نحوه].

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.

قوله: (والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار).



ش: الشفاعة أنواع(39):

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، وهي في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا بلحم، فرُفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنَهَس منها نَهْسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد... فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمَّاك الله عبدًا شكورًا؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟

[39] الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان: الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيمان، ممن يرضى الله عنهم قولهم وعملهم، وجاء الشرطان في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: 26]؛ [صالح الفوزان].

فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سَلْ تُعْطَه، اشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى لك من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده، إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى))؛ [أخرجاه: خ (4527)، م: (194)].

النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أُمِرَ بهم إلى النار، ألَّا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن: ((حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب))؛ [والحديث مخرج في الصحيحين: خ: (5705)، م: (216)].

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما تقدم وفي صحيح مسلم (196) عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أنا أول شفيع في الجنة)).

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا، ومن أحاديث هذا النوع حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((شفاعتي





لأهل الكبائر من أمتي))؛ [صحيح رواه أبو داود (473)، والترمذي (2435)، وأحمد (3/ 213)].

وأما الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء، ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله، والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقًّا، ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه.

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلانًا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجِبْ دعاءنا، وهذا أيضًا محذور، وتارة يقول: باتباعي لرسولك ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك؛ فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع.

قوله: (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق).

ش: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: 172].

أخبر سبحانه أنه استَخْرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومَلِيكهم، وأنه لا إله إلا هو، وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم؛ كما رواه الإمام أحمد (1/ 272) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنُعْمَان - يعني عرفة - فأخرج من صُلْبِه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه، ثم كلمهم قُبُلًا، قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون))؛ [صحيح بشواهده].

قوله: (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد ولا يُنقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه).

ش: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: 75]، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 40]، فالله تعالى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلًا وأبدًا، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة، وما كان ربك نَسِيًّا.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ((كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنَكَس رأسه فجعل ينكُت بِمِخْصَرَته ثم قال: ما من نفس منفُوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نَمْكُث على كتابنا ونَدَعُ العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة؛ ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: 10]} [الليل: 5 – 10]))؛ [أخرجاه في الصحيحين: خ: (1327)، م: (2647)][40].

قوله: (وكل مُيَسر لما خُلِقَ له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سَعِدَ بقضاء الله، والشقي من شَقِيَ بقضاء الله).

ش: عن زهير عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((جاء سراقة بن مالك، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خُلِقْنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجَرَت به المِقَادير، أم فيما يُسْتَقْبَل؟ قال: لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: فَفِيم

[40] والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أربع درجات، نلخصها فيما يلي: المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء، وأن الله علم الأشياء أزلًا، علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، لا يخفى على علمه شيء سبحانه وتعالى، المرتبة الثانية: أن الله جل وعلا كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق، بعد أن علمها سبحانه، المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة، لا يكون في هذا الكون شيء إلا بإرادة الله ومشيئته مما هو في اللوح المحفوظ، المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد، فما شاءه وأراده فإنه يوجده ويخلقه؛ [صالح الفوزان].

العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: اعملوا فكل مُيَسر))؛ [م: (2648)](41).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة))؛ [متفق عليه؛ خ: (3208)، م: (2643)](42).

وقوله: (وأصل القدر سِر الله تعالى في خلقه، لم يُطْلِع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعَمق والنظر في ذلك ذَرِيعة الخذْلان، وسُلم الحِرمان، ودرجة الطُغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفِكْرًا ووسْوَسة، فإن الله تعالى طَوَى عِلْمَ القدر عن أنامِهِ ونَهاهم عن مُرامِهِ، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: 23]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رَد حكم الكتاب، ومن رَد حكم الكتاب، كان من الكافرين).

ش: أصل القدر سِر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى وأمات وأحيا، وأضل وهدى، ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبًا مرضيًّا، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلْقِه.

والذي عليه أهل السنة والجماعة أن كل شيء بقضاء الله وقدَرِه، وأن الله تعالى خالق أفْعَال العباد؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49]، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

---

41 صح أن بعض الصحابة لما سمعوا هذا الحديث منه صلى الله عليه وسلم، قالوا: إذًا نجتهد، وفي رواية: فالآن نَجِدُّ، الآن نجد؛ [انظر: السنة (161 و167)، ففيه رد صريح على الجبرية المتواكلة الذين يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة فتأمل]؛ [الألباني].

42 قدر الله مقادير الخلائق وأخفاها عنهم ثم جعل لهم الخيرة في العمل خيرًا كان أو شرًّا، لتكون تلك الأعمال التي يعملوها باختيارهم هي المظهرة لما أخفاه الله عنهم من القدر، ثم تكون المحاسبة عليها يوم القيامة.
فمن أراد لنفسه النجاة عمل الصالحات، ومن تركها لغيها ووسوستها أراد لها الهلاك.



فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: 2]، وأن الله تعالى يُرِيد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونًا، ولا يرضاه دينًا(43).

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: 125]، ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأولَ حكم الكتاب لشُبهَة عرضت له، بُين له الصواب ليرجع إليه، فالله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل، لكمال حكمته ورحمته وعدله.

قوله: (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علمٌ في الخلق موجود، وعلمٌ في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجودِ كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثْبتُ الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود).

ش: الإشارة بقوله: فهذا، إلى ما تقدم ذكره، مما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة، وقوله: وهي درجة الراسخين في العلم؛ أي: علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلًا، نفيًا وإثباتًا، ويعني بالعلم المفقود: علم القدر الذي طواه الله عن أنامه، ونهاهم عن مُرامِه(44)، ويعني بالعلم الموجود: علم الشريعة، أصولها وفروعها.

فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين؛ قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: 26، 27]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: 34].

قوله: (ونُؤمن باللوح والقَلَم، وبجميع ما فيه قد رُقِم).

43 قال الحافظ ابن رجب: "والإيمان بالقدر على درجتين: إحداهما: الإيمان بأن الله سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر، وطاعة ومعصية، قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

الدرجة الثانية: أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وشاءها منهم، فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة، وتنكرها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية، ونفاها غلاتهم، كمعبد الجهني؛ **[محمد بن مانع]**.

44 قلت: وهذا التعمق هو المراد – والله أعلم – بقوله صلى الله عليه وسلم: ((وإذا ذكر القدر فأمسكوا))؛ وهو حديث صحيح، روي عن جمع من الصحابة، وقد خرجته في "الصحيحة" **34**؛ **[الألباني]**.



ش: قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج: 21، 22]، البروج كما جاء عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))؛ [صحيح، رواه أبو داود (4200) وغيره].

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت من حديث عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء))؛ [م: (2653)].

قوله: (فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن - لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه، ليجعلوه كائنًا - لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة).

ش: عن ابن عباس، قال: ((كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فقال: يا غلام، ألا أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجَاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجَفت الصحُف))؛ [صحيح: رواه الترمذي (2516)، وقال: (حسن صحيح)].

والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة: القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح، القلم الثاني: خبر خلق آدم، وهو قلم عام أيضًا، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم، عُقَيب خلق أبيهم، القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة. القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة[45].

---

[45] القضاء له جهتان:

1- جهة متعلقة بالله عز وجل، وهي فعله سبحانه وتعالى، وفعله بأن يقضي صفة من صفاته، فهذه يجب على العبد أن يُحِبَّهَا وأن يرضى بها لأنها صفة من صفات الله جل جلاله.

قوله: (وما أخطأ العبد لم يكن لِيُصِيبه، وما أصابه لم يكن لِيُخْطِئه).

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن القائل حيث يقول: ما قضى الله كائنٌ لا محالة، والشقي الجهول من لام حاله.

قوله: (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرًا مُحكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض، ولا مُعقب ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه).

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء))؛ [م: (2653)]، فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها؛ قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14].

قوله: (وذلك من عُقَدِ الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته؛ كما قال تعالى في كتابه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: 2]، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: 38].

ش: الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها؛ قال صلى الله عليه وسلم في جواب السائل عن الإيمان: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))، وقال صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: ((يا عمر أتدري من السائل؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم))؛ [م (1)].

وقوله: والإقرار بتوحيد الله وربوبيته؛ أي: لا يتم التوحيد والإقرار بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقًا غير الله فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كل أحد يخلق فِعْلَه والقدر، الذي هو

2 – جهة متعلقة بالعبد لا بالرب، فيكون مَقْضِيًّا على العبد، والمقضي على العبد نوعان:

أ– مقضي عليه من جهة المصائب.

ب– ومقضي عليه من جهة المعايب.

والمصايب ربما كان لا اختيار له فيها، والمعايب فَعَلَهَا بإرادته؛ ولهذا بَحَثَ العلماء مسألة الرضا بالقضاء، وهل القضاء تسليم له، يعني الرضا به؟ وتحقيق القول في هذه المسألة أنْ تَعْلَمَ أَنَّ القضاء غير المَقْضِي؛ [صالح آل الشيخ].





التقدير المطابق للعلم – يتضمن أصولًا عظيمة: أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيُثْبِت علمه القديم، الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شيء قدرًا، الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخبارًا مفصلًا، فيقتضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علمًا مفصلًا، الرابع: أنه يتضمن أنه مُختار لما يفعله، مُحْدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازمًا لذاته، الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه.

قوله: (فويل لمن صار لله تعالى في القَدَرِ خصيمًا، وأحضَرَ للنظر فيه قلبًا سقيمًا، لقد الْتَمس بوهْمِه في فَحْصِ الغيب سِرًّا كتيمًا، وعاد بما قال فيه أفكًا أثيمًا).

ش: اعلم أن القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن؛ قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام: 122]؛ أي: كان ميتًا بالكفر فأحييناه بالإيمان، فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح، نفر منها بطبعه وأبغضها، ولم يلتفت إليها بخلاف القلب الميت، فإنه لا يُفرق بين الحسن والقبيح.

وقوله: (والعرش(46) والكرسي حق).

ش: كما قال تعالى: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: 15، 16]، وقال: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾ [غافر: 15]، وقال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: 5]، وقال: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 17].

وفي صحيح البخاري (2701) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن)).

قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

---

46 تلخص في أوصاف العرش ما يأتي: أولًا: أن الله مدح نفسه بأنه رب العرش وذو العرش؛ مما يدل على أهمية العرش وميزته على المخلوقات، ثانيًا: وصف العرش بأنه عظيم، وأنه كريم، وأنه مجيد، ثالثًا: وصف العرش بأن له حملة، وأن الملائكة تحف به من حوله، رابعًا: أن العرش هو أعلى المخلوقات وسقفها، فهو فوق الفردوس الذي هو وسط الجنة وأعلى الجنة، خامسًا: أن للعرش قوائم، سادسًا: أن العرش مقبب على العالم، سابعًا: أن العرش سابق وجوده على تقدير المقادير، وأن تقدير المقادير سابق خلق السماوات والأرض، هذا هو الصواب؛ [الراجحي].



وأما الكرسي: فقال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة: 255]، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس(47)؛ في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة: 255] أنه قال: (الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى)(48).

قوله: (وهو مُسْتَغْنٍ عن العرش وما دونه، مُحيط بكل شيء وفوقه، وقد أعْجز عن الإحاطة خلقه).

ش: أما قوله: وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: 6]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: 15].

وإنما قال الشيخ - رحمه الله - هذا الكلام هنا، ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه(49)، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالي، محيطًا به، حاملًا له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه، فإنه سبحانه محيط بكل شيء وفوق كل شيء(50) ولا يحيط به شيء.

قوله: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلم الله موسى تكليمًا، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا).

ش: قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: 125]، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: 164]، محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته، ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في صحيح مسلم - سبق تخريجه - عن أبي سعيد الخدري، عن

47 صحيح، رواه ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش (61)، والحاكم في مستدركه (2/ 310)، وقال: (على شرط الشيخين ووافقه الذهبي).

48 وهو مخرج في كتابي مختصر العلو للذهبي، يسر الله طبعه، ولم يصح فيه مرفوعًا سوى قوله عليه الصلاة والسلام: ((ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة))، وذلك مما يبطل أيضًا تأويل الكرسي بالعلم، ولم يصح هذا التأويل عن ابن عباس؛ [الألباني].

49 العرش وما دونه مُفْتَقِر لله عز وجل؛ لأنَّهُ لا قَوَامَةَ لَهُ ولا قيام له بنفسه، فهو محمولٌ، له قوائم كما مَرَّ معنا في وصفه، وهو محمول والذي يحمله خَلْقٌ سَخَّرَهُمْ الله عز وجل لحمله وأقْدَرَهُمْ على ذلك، فقُدْرَتُهُم في حمل العرش واستقراره وفي بقائه وقيامه إنما هو بقدرة الله عز وجل، فهذا نوع من الحاجة؛ [صالح آل الشيخ].

50 أنَّ العلو والفوقية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- إلى علو الذات: وهذه معناها أنَّ الله عز وجل فوق جميع الأشياء وأنه الأعلى سبحانه.

2- وعلو القهر: وهذه معناها أنه سبحانه وتعالى لا يُغْلَبْ ولا يُرَامُ جنابه، بل هو سبحانه وتعالى هو الذي يَقْهَرُ من عداه... فهو فوق خلقه فَوقِيَّةَ قهر وجبروت وعظمة للمولى جل جلاله.

3- وعلو القَدْر والشرف: وهذا المعنى هو الذي يُثْبِتُهُ المبتدعة من العلو فلا ينازعون في علو القَهْر والقَدْر والشَّرَف؛ [صالح آل الشيخ].

النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله))؛ يعني: نفسه.

ولما اتخذ الله إبراهيم خليلًا، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحًا، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعْبَة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليُظْهر سِر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، فظهر سُلطان الخِلة في الإقْدام على ذبح الولد إيثارًا لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم.

قوله: (ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين).

ش: هذه الأمور من أركان الإيمان؛ قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: 285]؛ الآيات، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: 177]، فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة بقوله: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136]؛ وقال صلى الله عليه وسلم، في الحديث المتفق على صحته؛ حديث جبريل وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))؛ [متفق عليه].

وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، وهكذا... وقد تكلم الناس في المفَاضَلة بين الملائكة وصالحي البشر، ويُنسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولًا.

والشيخ – رحمه الله – لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصدًا، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل.

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلًا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص؛ قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: 164]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: 78]، وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أُرْسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانًا لا يَسَعُ أحدًا ممن أُرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال؛ أحسنها ما نقله البغوي في التفسير (1/ 271) عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم، قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: 7]، وأما الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالًا وتفصيلًا.
وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رُسُلِ الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء.

قوله: (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين، وله بكل ما قاله وأخْبَرَ مصدقين).

ش: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم))؛ [خ: (387)]، يشير الشيخ - رحمه الله - إلى أن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله، والمراد بقوله: أهل قبلتنا، من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يُكذب بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم(51).

51 الإيمان أخص من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا؛ قال تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ﴾ [الحجرات: 14].

قوله: (ولا نخوض في الله، ولا نُماري في دين الله).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم، ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [النجم: 23].

قوله: (ولا نُجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمدًا صلى الله عليه وسلم، وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نُخالف جماعة المسلمين).

ش: فقوله: ولا نجادل في القرآن، يحتمل أنه أراد: أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيْغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليُدْحِضوا به الحق، بل نقول: إنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، إلى آخر كلامه، ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل في القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثَبَت وصح، وكل من المعنيين حق.

وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: 193]؛ هو جبريل عليه السلام، سمي روحًا؛ لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حق أمين صلوات الله عليه، وقوله: فعلمه سيد المرسلين، تصريح بتعليم جبرائيل إياه، إبطالًا لتوهم القرامِطَة وغيرهم أنه تصورَه في نفسه إلهامًا.

وقوله: ولا نقول بخلقه، ولا نُخالف جماعة المسلمين، تنبيه على أن من قال بخلق القرآن، فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سلف الأمة كلهم متفقون على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق(52).

قوله. (ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله).

ش: أي: نسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، واعلم – رحمك الله وإيانا – أن باب التكفير وعدم

52 اعلم أن القائلين بخلق القرآن؛ أشهرهم طائفتان: إحداهما: المعتزلة، فإنهم يقولون: القرآن الذي جاء به جبريل هو كلام الله حقيقة ولكنه مخلوق، الثانية: المتكلمون من الكلابية وأتباعهم، فهم يقولون كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، إن عبر عنه بالعبرانية، صار توراة، وإن عبر عنه بالسريانية، صار إنجيلًا، وإن عبر عنه بالعربية، صار قرآنًا؛ [محمد بن مانع].

التكفير، باب عظمت الفتنة والمِحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم.

ولا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يُسْتَتاب فإن تاب، وإلا قُتِلَ كافرًا مرتدًّا، لكن لا نكفره بكل ذنب، كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم(53)؛ ولهذا – والله أعلم – قيده الشيخ رحمه الله بقوله: (ما لم يستحله)(54)، وقوله: ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله... إلى آخر كلامه، رد على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

قوله: (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويُدْخِلهم الجنة برحمته، ولا نأمَنُ عليهم، ولا نشْهَد لهم بالجنة، ونستغفر لمسِيئِهم، ونخاف عليهم، ولا نُقنطَهم).

ش: وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه وفي حق غيره؛ قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: 57]؛ قال الحسن رضي الله عنه: "عملوا – والله – بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُرد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشيةً، والمنافق جمع إساءة وأمنًا"؛ [انتهى]، ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا اسْتَلْزم رجاؤه أمورًا؛ أحدها: محبة ما يرجوه، الثاني: خوفه من فواته، الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاء لا يُقَارِنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير، مخافة الفوات، ولكنْ ثَمَّ أمر ينبغي التفطن له؛ وهو: أن الكبيرة قد يَقْتَرن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يُلْحِقها بالصغائر، وقد يَقْتَرن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يُلْحِقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه

---

[53] ينبغي التنبيه على أمرين:

الأول: أن المقصود (بذنب) يقصد به ما دون الشرك، وإلا فالشرك يخرج صاحبه من دائرة الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: 48].

الثاني: أن التكفير لمستحل الذنب حكم على العموم لا ينبغي أن يخصص بفرد معين إلا بعد وجود الشروط وانتفاء الموانع.

[54] يعني استحلالًا قلبيًّا اعتقاديًّا، وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عمليًّا أي مرتكب له، ولذلك فلا بد من التفريق بين المستحل اعتقادًا فهو كافر إجماعًا، وبين المستحل عملًا لا اعتقادًا فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن يغفر الله له، ثم ينجيه إيمانه خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود في النار؛ [الألباني].

وغيره، وأيضًا، فإنه قد يُعفَى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يُعْفَى لغيره، فإن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرِفَت بالاستقراء من الكتاب والسنة: السبب الأول: التوبة والتوبة النصوح وهي الخالصة لا يختص بها ذنب دون ذنب، السبب الثاني: الاستغفار، السبب الثالث: الحسنات، السبب الرابع: المصائب الدنيوية، السبب الخامس: عذاب القبر، السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات، السبب السابع: ما يُهْدى إليه بعد الموت من ثواب صدقة ونحو ذلك، السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده، السبب التاسع: القصاص بين أهل الجنة قبل دخولها، السبب العاشر: شفاعة الشافعين، السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.

قوله: (والأمن والإِيَاس يَنْقِلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة).

ش: يجب أن يكون العبد خائفًا راجيًا، فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خِيفَ منه اليأس والقُنوط.

والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه أو رجل أذنب ذنبًا ثم تاب منه إلى الله فهو راجٍ لمغفرته؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 218]، وفي صحيح مسلم (2877) عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بربه))، أما إذا كان الرجل متماديًا في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قوله: (ولا يَخْرج العبد من الإيمان إلا بِجُحود ما أدخله فيه)(55).

ش: يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قوله بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة، وفيه تقرير لما قال أولًا: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله.

[55] هذا الحصر فيه نظر فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام أو في النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو استهزاؤه بالله ورسوله، أو بكتابه، أو بشيء من شرعه سبحانه، ومن ذلك دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون؛ [عبدالعزيز بن باز]، قلت: فحصر الكفر بالجحود ليس بصواب، فللكفر أنواع أخرى؛ منها: كفر التكذيب، وكفر الإعراض، وكفر الاستهزاء.

قوله: (والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد، وأهله في أصْلِهِ سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى).

ش: ذهب مالك والشافعي، وأحمد والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاصٍ لله ورسوله، مستحق للوعيد(56)، ولهذا – والله أعلم – قال الشيخ رحمه الله: وأهله في أصله سواء(57)، يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل تفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يُحصيها إلا الله تعالى: فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وهكذا والأدلة على زيادة الإيمان ونُقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدًّا: منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: 2]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: 76]، وقد صار الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال: فطائفة جعلت الإسلام هو الكلمة، وطائفة أجابوا بما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الإسلام والإيمان، حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، وطائفة جعلوا الإسلام مرادفًا للإيمان.

---

56 ليس الخلاف بين المذهبين اختلافًا صوريًّا كما ذهب إليه الشارح رحمه الله تعالى بحجة أنهم جميعًا اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان، وأنه في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

فإن هذا الاتفاق وإن كان صحيحًا، فإن الحنفية لو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقية في إنكارهم أن العمل من الإيمان، لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته بالطاعة، ونقصه بالمعصية، مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية على ذلك... ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صوريًّا، وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق، بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليه الصلاة والسلام! كيف وهم بناء على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم – مهما كان فاجرًا فاسقًا – أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، بل يقول: أنا مؤمن حقًّا، وبناء على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم، فذكروا أن من استثنى في إيمانه فقد كفر! [الألباني].

57 هذا فيه نظر، بل هو باطل، فليس أهل الإيمان فيه سواء، بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته، وما شرعه لعباده، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة، ومن قال بقولهم، والله المستعان؛ [عبدالعزيز بن باز].

فإذا أُفْرِد الإيمان فإنه يتضمن الإسلام، وإذا أُفْرِد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنًا بلا نزاع، فالحاصل أن حالة اقْتِران الإسلام بالإيمان غير حال إِفْراد أحدهما عن الآخر، فلا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يَخْلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به صح إسلامه.

ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: 14] إلى آخر سورة الحجرات(58).

قوله: (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن).

ش: قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 62، 63]، الوَلِي: مِنَ الوَلاية بفتح الواو التي هي ضد العَداوة، والله تعالى وليهم قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة: 257]، فهذه النصوص ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليًّا فقد بارزه بالمحاربة، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه، والموصوفون بالوَلاية قسمان: مقتصدون، ومقربون، فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح، والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض؛ كما في صحيح البخاري (6276) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: ((من عادى لي وليًّا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجْله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مُسَاءَته))(59).

---

58 الذي يتلخص في باب الإيمان: أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن أهل الإيمان يتفاوتون في درجة إيمانهم فإيمان الملائكة والرسل ليس كباقي البشر، وأن العبد لا ينبغي له أن يأتي بناقض من نواقض الإيمان كيلا يخرج من دائرة الإسلام.

59 قلت: لا يدخل في باب الولاية من ادعاها دون عمل – كحال بعض المتصوفة ممن يدعون الولاية ولا يشهدون الجماعة – فالصحابة رضوان الله عليهم – وهم أولى الناس بصفة الولاية – كانوا يجتهدون في العبادة ما لم يجتهده غيرهم.

قوله: (وأكرمهم عند الله أطْوعهم وأتْبعهم للقرآن).

ش: أراد أكرم المؤمنين هو الأطْوع لله والأتْبع للقرآن[60]، وهو الأتقى والأتقى هو الأكرم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13]، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا فضلَ لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب))؛ [صحيح، رواه أحمد (5/ 411)]، وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق.

قوله: (والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وحُلوِه ومُره، من الله تعالى).

ش: تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور المتفق على صحته الذي سبق تخريجه: ((حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام؟ فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا، وسأله عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتُؤمن بالقدر، خيره وشره، وسأله عن الإحسان؟ فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، وفسر صلى الله عليه وسلم الإيمان في حديث وفد عبدالقَيْس، المتفق على صحته؛ حيث قال لهم: ((آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تُؤدوا خمس ما غنمتم))؛ [متفق عليه؛ خ: (53)، م: (17)]، ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله بدون إيمان القلب لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا، وقوله: والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى - تقدم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث

وليس شرطًا للولاية حصول الكرامة - أقصد الحقيقية، لا المصطنعة من بعض الدجاجلة أو الكذبة - فبعض أفاضل الصحابة كعثمان وعلي وغيرهما لم تكن لهم كرامات، ولا يختلف أحد أنهم من سادات الأولياء.

.

[60] فيه إشارة لطيفة إلى الرد على متعصبة المذاهب، الذين يؤثرون اتباع المذهب على اتباع الكتاب والسنة، ذلك لأنه لا تلازم بين اتباع المذاهب واتباع القرآن، فإن المذاهب مختلفة، والقرآن لا اختلاف فيه؛ [الألباني].





جبريل: ((وتؤمن بالقدر خيره وشره))، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: 51]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء: 78، 79]، فإن قيل: فكيف الجمع بين قوله: ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾، وبين قوله: ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾؟ قيل: قوله ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾: الخصب والجدب، والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾: أي: ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، فمن القدر ما هو شرٌّ جزئي، بالإضافة الى العبد ولا يكون شرًّا كليًّا عامًّا، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرًا أو مصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام.

قوله: (ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به).

ش: أي: لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض وكفر ببعض، كافر بالكل؛ قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: 150، 151].

قوله: (وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: 48]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نَكِرَتِه، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به).

ش: وقوله: وأهل الكبائر من أمة محمد: تخصيصه أمة محمد، يُفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد صلى الله عليه وسلم قبل نسخ تلك الشرائع به، حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد، وفي ذاك نظر، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان))؛ [متفق عليه: خ: (7165)، م: (183)]، ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقًا، فتأملهُ.

واختلف العلماء في الكبائر على أقوال قيل: إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.

واختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر؛ منهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا – أعني: المقدرة – فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب، وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره[61].

وقوله: (وإن لم يكونوا تائبين)، التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، والخلاف في غير التائب، وقوله: (بعد أن لقوا الله تعالى عارفين)، لو قال: مؤمنين، بدل قوله: عارفين، كان أولى؛ لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجَهْمُ، وقوله مردود باطل.

وقوله: وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، إلى آخر كلامه – فصل الله تعالى بين الشرك وغيره لأن الشرك أكبر الكبائر، كما قال صلى الله عليه وسلم، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور، وعلق غفران ما دونه بالمشيئة.

قوله: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة[62]، وعلى من مات منهم).

في صحيح البخاري (676) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم)).

---

[61] قلت: المعتزلة والخوارج يكفرون المسلم بفعل الكبيرة ويخرجونه من دائرة الإسلام، أما أهل السنة فعندهم أن مرتكب الكبيرة إذا وقع عليه الحد أو تاب توبة نصوحًا غفر الله له تلك الكبيرة – ما لم تتعلق بحق آدمي – فإذا مات على الكبيرة، فأمره إلى الله إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه؛ أي: تحت المشيئة.

[62] أهل القبلة هم من يُوصَفُون بالإسلام، والذين يُوصفون بالإسلام أنواع:

1- النوع الأول: المؤمنون الصالحون، فالصلاة على من مات منهم قُرْبَة وحَق.

2- النوع الثاني: مسلم له فجور عام بمعاصٍ أو كبائر مختلفة – ممن خَلَطَ عملًا صالحًا وآخر سيئًا – فهذا يُصَلَّى عليه بإطلاق.

3- النوع الثالث: مسلم له فجور بمعاصٍ أو كبائر خاصة، وهي التي جاء الدليل بأن يَتْرُكَ طائفة الصلاة عليه، مثل الغَال، ومن قَتَلَ نفسه، فهذا يُصَلِي عليه بعض المسلمين ويترك الصلاة عليه أهل الشَّارَةْ والعلم.

4- النوع الرابع: المنافق: وله قسمان: القسم الأول: نفاق يعلمه كل أحد، وهذا لا يكون في المسلمين لأنه يكون زنديقًا، فلا يجوز الصلاة عليه، القسم الثاني: نفاقٌ خَفِي يَعْلَمُهُ البعض ولا يَعْلَمُهُ البعض، فإذا علم نفاقه بيقين فإنه لا يُصَلِّي عليه ويترك البقية يصلون لأنَّ الصلاة عليه هي باعتبار الإسلام الظاهر ولم يظهر منه ما يخالف هذا الأصل؛ [صالح آل الشيخ].





اعلم – رحمك الله وإيانا – أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقًا باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه.

ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك فإن المأموم يصلي خلفه، عند عامة السلف والخلف(63).

وكذلك إذا كان الإمام قد رتبه وُلاة الأمور وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلفه أفضل، فإذا أمكن الإنسان ألَّا يُقَدم مظهرًا للمنكر في الإمامة، وجب عليه ذلك، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر(64).

قوله: (ولا نُنْزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا).

ش: يريد: أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم، وإن كنا نقول: أنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم؛ لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نُحيط به، لكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين.

قوله: (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونَذَر سرائرهم إلى الله تعالى).

ش: لأنا قد أُمِرْنا بالحكم بالظاهر، ونُهِينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ [الحجرات: 11]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: 12]، وقال

---

63 الصلاة على جنازة المسلم وإن كان فاسقًا، ما لم يخرج من الإسلام، فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، أما إذا خرج عن الإسلام فلا يصلى عليه؛ لأنه ليس بمسلم؛ [صالح الفوزان].

64 العلماء رحمهم الله يفرقون بين أصحاب البدع المفسقة – كمن يقدم عليًّا على عثمان مع إقراره بخلافة عثمان – وأصحاب البدع المكفرة – كغلاة الشيعة السبئية الذين يزعمون أن عليًّا هو الله – فيجوزون الصلاة خلف الأول، ولا يجوزونها خلف الأخير.

أما أصحاب الفجور والمعصية إذا كانوا من ولاة المسلمين فلم يمنع أحد من الصلاة خلفهم خاصة في آخر الزمان.

تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36].

قوله: (ولا نرى السيف[65] على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من وجب عليه السيف).

ش: قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإِحْدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))؛ [خ: (6636)، م: (1676)].

قوله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا[66]، ولا ندعو عليهم، ولا نَنْزِع يَدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة[67]).

ش: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: 59]، وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني))؛ [متفق عليه؛ خ: (6879)، م: (1835)]، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))؛ [صحيح، رواه أبو داود (2626)، وأصله في الصحيحين]، فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أُوْلِي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه

---

[65] كان يُمَيَّز مَن يُجَبِّذ الخروج ولو لم يدخل فيه بِفِعْلِهِ وإنما يَسْتَحْسِنُهُ لفظًا ويُؤَيِّدُ من يَفْعَلُهُ، كان يُوصف عند الأئمة بأنه كان يرى السيف، ويُوصَف من خالفهم ثناءً عليه بأنه كان لا يرى السيف، وقد ضَعَّفَ الأئمة جمعًا من الرواة وقدحوا فيهم بقولهم: كان يرى السيف؛ [صالح آل الشيخ].

[66] الجور ليس سببًا في الخروج سواء كان جورًا في الدين – ما لم يصل إلى حد الكفر البواح فيجوز الخروج ولا يجب، وهذا وفق المفاسد والمصالح – أو كان جورًا في الدنيا، بل أكثر ما يكون الخروج بسبب الجَوْرِ في الدنيا، كما ذكر ذلك ابن تيمية في منهاج أهل السنة، قال: أكثر تأويل من خَرَجْ بسبب جور بعض الولاة في أمور الدنيا؛ [صالح آل الشيخ].

[67] لا يجوز الدعاء عليهم؛ لأن هذا خروج معنوي، مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم؛ لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهدى والصلاح، لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ [صالح الفوزان].

قلت: إذا كان الدعاء عليهم لا يجوز، فكيف بالخروج عليهم زاعمًا أصحابه المصلحة في ذلك؟

يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم(68)، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل(69).

قوله: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخِلاف والفُرقَة).

ش: السنة: طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين فاتباعهم هُدى، وخلافهم ضَلال(70).

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 31]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 115].

عن العرباض بن سارية، قال: ((وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا؛ فإنه من يَعِشْ منكم بعدي، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعَضوا عليها

[68] قال العلماء: ولا يجوز الخروج على ولي الأمر إلا بشرطين: الشرط الأول: أن يقع منه كفر بواح، ومعنى كفر بواح يعني: كفر واضح، لا لبس فيه، الشرط الثاني: أن يوجد البديل بأن يستطيع المسلمون أن يزيلوا ولي الأمر الكافر، ويولوا بدلًا منه مسلمًا صالحًا، أما إذا كان مثلًا يزال كافر، ويؤتى بدله بكافر ما حصل المقصود، وكذلك – أيضًا – بشرط القدرة يكون عندك قدرة على الخروج، أما إذا كان ما عندك قدرة، إذا خرجت تقتل، فلا حاجة إلى الخروج؛ [عبدالعزيز الراجحي].

[69] وفي هذا بيان لطريق الخلاص من ظلم الحكام الذين هم ((من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا))، وهو أن يتوب المسلمون إلى ربهم، ويصححوا عقيدتهم، ويربوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: 11]، وإلى ذلك أشار أحد الدعاة المعاصرين بقوله: "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، تقم لكم على أرضكم"، وليس طريق الخلاص ما يتوهم بعض الناس، وهو الثورة بالسلاح على الحكام، بواسطة الانقلابات العسكرية، فإنها مع كونها من بدع العصر الحاضر، فهي مخالفة لنصوص الشريعة التي منها الأمر بتغيير ما بالأنفس، وكذلك فلا بد من إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 40]، أما الكفار المستعمرون فلا طاعة لهم، بل يجب الاستعداد التام مادة ومعنى لطردهم، وتطهير البلاد من رجسهم؛ [الألباني].

[70] وليس من الشذوذ في شيء أن يختار المسلم قولًا من أقوال الخلاف لدليل بدا له، ولو كان الجمهور على خلافه خلافًا لمن وهم، فإنه ليس في الكتاب ولا في السنة دليل على أن كل ما عليه الجمهور أصح مما عليه مخالفوهم عند فقدان الدليل! نعم، إذا اتفق المسلمون على شيء دون خلاف يعرف بينهم، فمن الواجب اتباعه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 115]، وأما عند الاختلاف، فالواجب الرجوع إلى الكتاب والسنة، فمن تبين له الحق اتبعه؛ [الألباني].

بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل مُحْدِثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))؛ [صحيح، رواه أبو داود (4607)، واللفظ له، والترمذي (2676)، وابن ماجه (42)]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن أهل الكتابَين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة – يعني: الأهواء – كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة))؛ [حسن، رواه أبو داود (4597)، وأحمد (4/ 102)]، فبين صلى الله عليه وسلم أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا أهل السنة والجماعة.

قوله: (ونحب أهل العدل والأمانة(71)، ونُبْغِض أهل الجَوْرِ والخِيانة).

ش: وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله؛ فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويُبغض ما يُبغض، ويُوالي من يواليه، ويُعادي من يعاديه وفي الصحيحين [خ: (16)، م: (43)] عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كنَّ فيه، وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلقى في النار)).

قوله: (ونقول: الله أعلم، فيما اشتَبَه علينا عِلمُه).

ش: تقدم في كلام الشيخ – رحمه الله – أنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشْتَبَه عليه إلى عالِمِه، ومن تكلم بغير علم، فإنما يتبع هواه؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: 50]، وقد قال صلى الله عليه وسلم لما سُئِلَ عن أطفال المشركين: ((الله أعلم بما كانوا عاملين))؛ [متفق عليه: خ: (1350)، م: (2659)، ولفظ (أطفال) هو لمسلم].

قوله: (ونرى المسح على الخفين، في السفر والحضر، كما جاء في الأثر).

ش: تواترت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة(72).

---

[71] المحبة على قسمين: أولًا: محبة طبيعية، كمحبة الإنسان لأهله وزوجته وأولاده، ومحبته لأصدقائه، ثانيًا: محبة دينية، وهذه على نوعين: النوع الأول: محبة الله سبحانه وتعالى، وهي أعظم أنواع العبادة، الثاني: المحبة في الله ولأجل الله، وذلك بأن تحب ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، وتحب أهل الإيمان والتقوى؛ [الفوزان].

[72] إنما ذكر المصنف المسح على الخفين لسببين:

الأول: أن المسح على الخفين متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: (والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لا يُبطلهما شيء ولا ينقضهما).

ش: يشير الشيخ – رحمه الله – إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد(73)، وقد جاء في صحيح مسلم (1855) عن أبي مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلت: يا رسول الله، أفلا نُنَابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة إلا من وَلِيَ عليه وَالٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليَكْرَه ما يأتي من معصية الله، ولا يَنْزَعَن يدًا من طاعته)).

قوله: (ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين).

ش: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: 10 – 12]، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلون وأتيناهم وهم يصلون))؛ [خ: (542)، م: (632)].

قوله: (ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين).

ش: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: 11]، ولا تعارض هذه الآية قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: 61]؛ لأن مَلَكَ الموت(74) يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة

والآخر: أن الرافضة تخالف هذه السنة فالحجة عليهم أقوى في الاحتجاج بما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ [الألباني].

73 اعلم أن الجهاد على قسمين: الأول: فرض عين – جهاد الدفع – وهو صد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين، كاليهود الآن الذين احتلوا فلسطين، فالمسلمون جميعًا آثمون حتى يخرجوهم منها، والآخر: فرض كفاية – جهاد الطلب – إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو الجهاد في سبيل نقل الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد حتى يحكمها الإسلام، فمن استسلم من أهلها فبها، ومن وقف في طريقها، قوتل حتى تكون كلمة الله هي العليا، فهذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة فضلًا عن الأول؛ [الألباني].

74 قلت: هذا هو اسمه في القرآن، وأما تسميته بـ(عزرائيل) كما هو الشائع بين الناس فلا أصل له، وإنما هو من الإسرائيليات؛ [الألباني]، قال الحافظ: أخذ جماعة بظاهر ما وقع في هذا السياق – أي: حديث علي بن الحسين الذي أخرجه الشافعي في السنن




الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه وأمره، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسْبِه.

قوله: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال مُنكر ونَكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران).

ش: قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: 45، 46].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: ((كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يُلْحَد له، فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القَطْرة من في السقَاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عَين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحَنُوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيُفتح له، فيُشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى... الله، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أُعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتُعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان،

المأثورة برقم 372 – وجزموا بأن اسم ملك الموت إسماعيل، وليس كما ظنوا فإن في السياق حذفًا قد تبين ذلك من الرواية التي رويناها في معجم الطبراني... ((هبط جبريل وهبط معه ملك الموت وهبط معهما في الهواء ملك يقال له إسماعيل...))، فأفادت هذه الرواية أن الملك الذي اسمه إسماعيل هو ملك الهواء، وأنه غير ملك الموت، وأن تسمية ملك الموت عزرائيل... فوجدت في كتاب العظمة لأبي الشيخ... عن أشعث قال: ((سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل...))، لكن أشعث شيخ عنبسة هو ابن جابر الحراني، وهو تابعي صغير، والحديث معضل، وذكر أبو الشيخ في كتاب العظمة أيضًا... عن وهب بن منبه... ((ثم قال: كن، فكان عزرائيل، ثم قال للموت: أبرز فبرز الموت لعزرائيل))؛ [الإمتاع (1/ 106)].

قلت: والغالب أنها من الإسرائيليات لما اشتهر من أخذ وهب بن منبه من كتبهم.





فيُجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء: أن صَدَق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفْسَح له في قبره مُد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقْبَال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سُود الوجوه، معهم المسُوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فيَنْتَزِعُها كما يُنتَزَع السفودُ من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كانوا يُسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: 40]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتُطرح روحه طرحًا؛ ثم قرأ: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: 31]، فتُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسَمُومها، ويُضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة))؛ [صحيح، رواه الإمام أحمد (4/ 287)، وغيره].

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته، إذ ليس

للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذا الدار، والشرع لا يأتي بما تحِيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تَحار فيه العقول.

والحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم – صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا، فعذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة.

قوله: (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان).

ش: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على مُنْكِريه في غالب سور القرآن: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: 78، 79]، قوله: وجزاء الأعمال؛ قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص: 84]، وقال صلى الله عليه وسلم، فيما يروي عن ربه عز وجل من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: ((يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُحْصيها لكم، ثم أُوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَن إلا نفسه))؛ [م: (2577)]، قوله: والعرض والحساب، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 18]، وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 49]، وروى البخاري في صحيحه (102)، ومسلم (2876) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من حُوسِبَ يوم القيامة هلك، قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: 8]، فقال: ليس ذاك الحساب إنما ذلك العرض، من نُوقِشَ الحساب يوم القيامة عذب))؛ يعني: أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح، قوله: والصراط؛ أي: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله

عنها: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: هم في الظُّلْمَة دُونَ الجِسْر))؛ [م: (315)].

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويُحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبدالله، قال: ((يجمع الله الناس يوم القيامة، إلى أن قال: فيُعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يُعطى نوره على إبهام قدمه، يُضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف؛ دَحْضٌ مَزَلة، فيُقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كأشد الرجل، يرمل رملًا، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تَخِر يد، وتَعلَق يد، وتَخِر رجل، وتَعْلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا، قالوا: الحمد الله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد))؛ [صحيح، ورواه الحاكم (2/ 376)، وصححه]، قوله: والميزان، ونؤمن بالميزان؛ قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: 47]، والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان كما روى الإمام أحمد (2/ 213)، والترمذي (2639) بسند صحيح عن أبي عبدالرحمن الحبلي، قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيُبْهَت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظُلْمَ اليوم عليك، فتُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم)).

وقيل: إن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري (4544)، ومسلم (2785) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: 105].

وقوله: (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تَبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه، وكل يعمل لما قد فُرِغَ له، وصائرٌ إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد[75]).

ش: قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن؛ فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]، وعن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 24]، وقال تعالى: ﴿ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ [النبأ: 21، 22]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم: 13 - 15].

وفي السنن أبو داود (4744)، والنسائي (3763)، والترمذي (2560)، والمسند (2/ 332) بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحُفت بالمكَاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت ألَّا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يَرْكَبُ بعضها بعضًا، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحُفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت ألَّا ينجو منها أحد إلا دخلها))، وقوله: لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان؛ هذا قول جمهور

[75] الخير والشر المُقَدَّرَيْن على العباد يُعنَى بهما ما يصيب العبد من خيرٍ له ومن شر عليه، أمَّا في فعل الله – عز وجل – فليس في أفعاله سبحانه إلا الخير؛ كما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاته: ((والشر ليس إليك))؛ [صالح آل الشيخ].

الأئمة من السلف والخلف، وقال ببقاء الجنة وبفناء النار(76) جماعة من السلف والخلف(77)، والأدلة من السنة على أبدية الجنة، ودوامها كثيرة؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: ((من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت))؛ [م: (2836)]، وقوله: ((ينادي منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا))؛ [م: (2837)]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: 80، 81]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: 106، 107]، وقوله: وخلق لهما أهلًا؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ [الأعراف: 179]، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((دُعِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءًا ولم يُدْركه، فقال: أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها

---

[76] هذا القول مَنْشَؤُهُ – مع عِلْمِ هؤلاء بالدليل وبالنصوص – على وجه الاختصاص النظر في صفات الله – عز وجل – وذلك أنَّ من المتقرر في النصوص أنَّ صفة الرحمة ذاتية ملازمة للرب – عز وجل – والجنة من آثار رحمة الله – عز وجل – ((أنت رحمتي أرحم بك من أشاء))، والنار أَثَرُ غضب الله – عز وجل – والغضب صفة فعلية اختيارية لا تنقَلِبُ إلى أن تكون صفة ذاتية كالرحمة، ولو بقي أَثَرُ الغضب لبقي الأصل وهو الغضب، لو بقيت النار وهو أثر الغضب لبقي الغضب أبد الآبدين، وهذا يعني أنَّهُ أصبح صفة ملازمة، وهذا هو مأخذ هؤلاء الأئمة في هذه المسألة؛ [صالح آل الشيخ].

قلت: الأولى عدم استخدام القياس في الأمور الشرعية التي لا يجوز إثباتها أو نفيها إلا بدليل صحيح – خاصة عند ثبوت الأدلة الصحيحة خلافًا لمثل هذا القياس – فالنار وإن كانت من آثار غضبه سبحانه إلا أنها لا تدل على دوام اتصافه بالغضب لأنها خلق مستقل عنه، وإلا للزمنا القول بأن الله عز وجل لم يزل في غضب مستمر لم ينقطع منذ خلق النار، وأدلة الضحك والرضا على خلاف ذلك.

[77] اعلم أن النار في الآخرة ناران: نار تفنى، ونار تبقى أبدًا لا تفنى، فالأولى هي نار العصاة المذنبين من المسلمين، والأخرى نار الكفار والمشركين، هذا خلاصة ما حرره ابن القيم في "الوابل الصيب"، وهو الحق الذي لا ريب فيه، وبه تجتمع الأدلة، فلا تغتر بما ذكره الشارح هنا، وابن القيم في "شفاء العليل"، و "حادي الأرواح" مما قد ينافي هذا الذي لخصته، فإنهما لم يتبنيا ذلك، وليس فيه أي دليل صريح صحيح يدل على فناء نار الكافرين، والله تعالى كما قال في أهل الجنة: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: 48] قال مثله في الكافرين: ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: 167]؛ [الألباني].

قلت: لا يفهم من كلام ابن القيم أن الله يخلق لعصاة الموحدين نارًا ويخلق للكفار نارًا – كما تزعم المعتزلة – بل يقصد عذابهم في النار فعصاة الموحدين يعذبون قدر معصيتهم – إن لم يتوبوا ولم يغفر لهم – ثم يخرجون منها، ويبقى الكفار فيها خالدين أبدًا؛ ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [الزخرف: 74 – 78].

وهم في أصلاب آبائهم))؛ [م: (2662)]، وقوله: فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه...؛ إلخ، مما يجب أن يُعْلَم أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح، فإنه ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: 112]، وكذلك لا يعاقب أحدًا إلا بعد حصول سبب العقاب؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: 30]، وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

قوله (والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصِحة والوسْع والتمكن وسلامة الآلآت – فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب؛ وهو كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]).

ش: الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظ متقاربة، والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل،

لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة(78).

وأما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة، فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [هود: 20]، والمراد نفي حقيقة القدرة، لا نفي الأسباب والآلات، لأنها كانت ثابتة.

قوله: (وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد).

ش: اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية، وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه(79).

---

78 فالحج – مثلًا – فيه الاستطاعتان؛ قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: 97]، فهذه استطاعة تمكن، فيجب الحج على من يستطيع، والسبيل هو الزاد والراحلة، فيجب عليه الحج إذا وجدهما؛ لأن عنده تمكنًا، هذه استطاعة قبل الفعل، أما الاستطاعة مع الفعل – وهو مباشرة الحج – فقد لا يكون عنده قدرة مثل المريض المزمن أو الكبير الهرم، فهذا لا يستطيع استطاعة تنفيذ وفعل، ويستطيع استطاعة تكليف، فهذا يجب عليه الحج في ذمته، ومثل دخول وقت الصلاة يوجب الصلاة على المكلف، ويكون التنفيذ بحسب استطاعته، فالمريض يصلي قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب، فالصلاة تجب عليه على كل حال؛ لأنه في استطاعته ذلك، وهذه الاستطاعة قبل الفعل، أما التي مع الفعل قد تكون معدومة نهائيًا، وقد تكون موجودة، ولكن ليست تامة، فيجب عليه على قدر استطاعته؛ [صالح الفوزان].

قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: 29].

قوله: (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حِيْلة لأحد، ولا تَحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحِيَلَ كلها، يفعل ما في يشاء، وهو غير ظالم أبدًا، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون).

ش: فقوله: لم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون؛ قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286].

وقوله: ولا يطيقون إلا ما كلفهم، في كلام الشيخ إشكال؛ فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقْدَار، وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي، وهو قال: "لا يكلفهم إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم"، وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، فلو زاد فيما كلفنا به لأَطَقْناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حَرَج.

قوله: وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره؛ يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، وقوله: يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبدًا، الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضي قولًا وسطًا بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلمًا وقبيحًا يكون منه ظلمًا وقبيحًا، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم! فإن ذلك تمثيل لله بخلقه وهو قياس فاسد؛ عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم))؛ [صحيح، رواه أبو داود (4699)، وابن ماجه (77)، وأحمد (5/ 182)].

79 هل الأفعال مخلوقة لله أو هي من خلق العباد؟ القول الأول: قول الجبرية والجهمية: إن العبد مجبور، ليس له دخل في الأفعال، فهي محض خلق الله عز وجل، فصلاته التي يؤديها ليس باختياره، إنما هو مجبور وهؤلاء غلوا في إثبات قدرة الله، القول الثاني: وهو مضاد للقول الأول تمامًا، وهو قول المعتزلة، يقولون: الأفعال من إنتاج العبد وإرادته المطلقة ومشيئته، وليس لله تدخل فيها، وإنما العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، فهؤلاء غالوا في إثبات قدرة العبد، والمذهب التوسط مذهب أهل السنة والجماعة، على ضوء الكتاب والسنة، قالوا: أفعال العباد هي فعلهم بإرادتهم ومشيئتهم، وهي خلق الله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96]؛ [صالح الفوزان].

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: ((يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا))؛ [م: (2577)]، فهذا دل على شيئين: أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والمِمْتَنِع لا يوصف بذلك، الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي، والله ليس كذلك(80).

قوله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم للأموات).

ش: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سَعْيِ الأحياء بأمرين: أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم: 39]، وقوله: ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: 54]، وعنه صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))؛ [م: (1631)]، والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، وفي الصدقة والحج نِزَاعٌ فيما يصل إليه من ثوابهما؛ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل))؛ [صحيح، رواه أبو داود (3221)، والبزار (445)].

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم؛ كما روى مسلم (975) عن بريدة بن الحصيب، قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)).

واجتمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت، فهذا لم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رَخص فيه، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير، وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعًا بغير أجرة، فهل يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج؟ فمن المتأخرين من

---

80 أي: لأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه كما حرمه على عباده، والظلم وضع الأشياء في غير مواضعها، ودلت دلائل الكتاب والسنة على أن الله تعالى قادر على الظلم، ولكنه لا يفعله؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾ [يونس: 44]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: 112]، والهضم أن ينقص من جزاء حسناته، والظلم أن يعاقب بذنوب غيره، فهو سبحانه منع نفسه من الظلم لعباده مع قدرته عليه؛ جودًا منه وكرمًا وإحسانًا؛ [محمد بن مانع].





استحبه، ومنهم من رآه بدعة، لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه، وكذلك، الذين يتناوبون القبر للقراءة عنده، فهذا مكروه، فإنه لم تأتِ به السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلًا.

[قوله]: (والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات).

ش: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: 186]، والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

قوله: (ويملك كل شيء، ولا يَمْلكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عَيْن، ومن استغنى عن الله طرفة عَيْن، فقد كفر وصار من أهل الحَيْنِ).

ش: كلام حق ظاهر لا خفاء فيه، والحين، بالفتح: الهلاك.

قوله: (والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى).

ش: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: 18]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: 60].

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا والعداوة، والوَلاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى.

وقوله: (ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نُفْرِطُ في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونُبْغض من يُبْغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

ش: يشير الشيخ - رحمه الله - إلى الرد على الروافض والنواصب(81)، وقد أثنى الله تعالى على الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 100].

81 أي: كما فعلت الرافضة، فعندهم لا وَلاء إلا ببراء؛ أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأهل السنة يوالونهم جميعًا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوس والتعصب؛ [الألباني].

وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [الفتح: 29]، وفي الصحيحين خ: (3546)، م: (2540)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نَصِيفَهُ)).

قوله: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة).

ش: اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالاختيار، والدليل على إثباتها بالنص أخبار: من ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم، قال: ((أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرها أن ترجع اليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فائتي أبا بكر))؛ [م: (3534)]، وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر و عمر))؛ [صحيح، رواه الترمذي (3663)، وابن ماجه (97)]، وفي صحيح مسلم (2387) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: ((قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادْعِي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا؛ فإني أخاف أن يتمنى مُتَمنٍّ، ويقول قائل: أنا أوْلَى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)).

قوله: (ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه).

ش: أي: ونثبت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تُنْكَر، وأكثر من أن تُذْكَر؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يُرفع وأنا فيهم، فلم يَرُعْنِي إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو عليٌّ، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيْم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيرًا ما أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو - أو لأظن - أن يجعلك الله معهما))؛ [متفق عليه؛ خ: (3550)، م: (2389)].

وفي الصحيحين خ: (3562)، م: (2398)، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قد كان في الأمم قبلكم مُحَدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب))، قال ابن وهب: "تفسير مُحَدثون: مُلْهَمون".

قوله: (ثم لعثمان رضي الله عنه).

ش: أي: وثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان، في صحيحه، ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة: كونه خَتْنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه، وفي صحيح مسلم (2401) عن عائشة، قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في بيته كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تَهْتَش له ولم تُباله، ثم دخل عمر فلم تَهْتَش ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)).

قوله: (ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه).

ش: أي: وثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما، لما قتل عثمان وبايع الناس عليًّا صار إمامًا حقًّا واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة المقدم ذكره، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء))؛ [حسن، رواه أبو داود (4646)]، وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفًا، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر، وأول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه، وهو خير ملوك المسلمين.

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قُتِلَ كثر الكذب والافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من أكابر الصحابة كعلي وطلحة والزبير، وعظمت الشبْهَة عند من لم يعرف الحال، وقويت الشهْوَة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض، ممن بعدت داره من أهل الشام، ويحمي الله عثمان، أن يُظَن بالأكابر ظنون سوء،

ويبلغه عنهم أخبار، منها ما هو كذب، ومنها ما هو محرف، ومنها ما لم يعرف وجهه، وانضم إلى ذلك أهواء أقوام يحبون العُلو في الأرض، وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان، من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة والزبير أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم، ويقمع أهل الفساد والعدوان، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه، فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من عليٍّ، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت فتنة صفين لرأي، وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم وهم كافون، حتى يجتمع أمر الأمة، وأنهم يخافون طغيان من في العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلي رضي الله عنه هو الخليفة الراشد المهدي الذي تجب طاعته، ويجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، بطلب الواجب عليهم، بما اعتقد أنه يحصل به أداء الواجب، ولم يعتقد أن التأليفَ لهم كتأليفِ المؤلَفَة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده مما يَسُوغ، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة، دون تأليفهم على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر، لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها؛ ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: 10]، والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا، بمنه وكرمه.

ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما في الصحيحين خ: (3580)، م: (2404)، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، وقال صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: ((لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليًّا، فأتي به أرْمَد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه))؛ [متفق عليه؛ خ: (3575)، م: (2406)].

قوله: (وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون).

ش: تقدم الحديث الثابت في السنن – سبق تخريجه – وصححه الترمذي، عن العرباض بن سارية؛ قال: ((... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)).

وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزِية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: ((اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر و عمر))، وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم؛ فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

قوله: (وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين).

ش: تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، ومن فضائل الستة الباقين من العشرة رضي الله عنهم أجمعين: عن عائشة رضي الله عنها: ((أَرِق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال: ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من هذا؟ فقال: سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام رسول الله))؛ [متفق عليه؛ خ: (6967)، م: (2410)].

عن أبي عثمان النهدي، قال: ((لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم غير طلحة وسعد))؛ [متفق عليه؛ خ: (3590)، م: (2414)]، عن جابر بن عبدالله قال: ((نَدَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانْتَدَب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لكل نبي حواري، وحواريَّ الزبير))؛ [متفق عليه؛ خ: (3587)، م: (2415)] عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا – أيتها الأمة – أبو عبيدة بن الجراح))؛ [متفق عليه؛ خ: (3609)، م: (2419)]، وروى الترمذي (3747) عن عبدالرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة،

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة))؛ [صحيح، ورواه أبو داود(4649)، والترمذي (3748)، وقال: (هذا أصح)، وابن ماجه (133)]، وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم.

قوله: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأزواجه الطاهرات من كل دنَسْ، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد بَرِئَ من النفاق).

ش: وفي صحيح مسلم (2408) عن زيد بن أرقم، قال: ((قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبًا، بماء يدعى: خُمًّا، بين مكة والمدينة، فقال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاثًا)، وإنما قال الشيخ رحمه الله: فقد برئ من النفاق؛ لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقَدحُ في الرسول صلى الله عليه وسلم، كما ذكر ذلك العلماء.

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء عند الفاعلين الضالين.

قوله: (وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر - لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

ش: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 115]، فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، خصوصًا الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم علماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته، والمحْيُون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقًا يقينًا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له في تركه من عذر، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف: أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول، والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ، فلهم الفضل علينا

والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم؛ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: 10].

قوله: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء).

ش: يشير الشيخ – رحمه الله – إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ [النساء: 64]، إلى أن قال: ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 31]، قال أبو عثمان النيسابوري: "من أمر السنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أقر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة".

قوله: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم(82)).

ش: فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم، ومباح، فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها؛ قال أبو علي الجوزجاني: كن طالبًا للاستقامة، لا طالبًا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة. وأما ما يبتلي الله به عبده من السر بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء، فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه وشقي بها قوم إذا عصوه؛ كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا ﴾ [الفجر: 15 – 17]؛ لهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة، قسم يتعرضون بها لعذاب الله، وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات، كما تقدم.

82 لقد أحسن المؤلف صنعًا بتقييد ذلك بما صح من الروايات؛ ذلك لأن الناس – وبخاصة المتأخرين منهم – قد توسعوا في رواية الكرامات إلى درجة أنهم رووا باسمها الأباطيل التي لا يشك في بطلانها من له أدنى ذرة من عقل، بل إن فيها أحيانًا ما هو الشرك الأكبر؛ [الألباني].

قوله: (ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها).

ش: عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهو في قبة من أَدَم، فقال: اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مَوْتَان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هُدْنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا))؛ [خ: (3069)].

وعن حذيفة بن أسيد، قال: ((اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))؛ [م: (2901)].

قوله: (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة).

ش: روى مسلم (2230) وأحمد (4/ 68) عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم يقبل له صلاة أربعين ليلة))، والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه، فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟ وفي الصحيحين: خ: (5554)، م: (2228) عن عائشة، قالت: ((سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكُهان؟ فقال: ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحيانًا بالشيء يكون حقًّا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيُقِرها في أُذُن وليه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة))، واتفقوا كلهم أيضًا على أن كل رُقية وتَعْزِيم أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يُعْرَف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا))؛ [م: (2200)]، ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك؛ قال يونس بن عبدالأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة؟

فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير على الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب.

قوله: (ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفُرقَة زيغًا وعذابًا).

ش: قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: 103]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 105]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة – يعني: الأهواء – كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة))، وفي رواية: ((قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي))؛ [صحيح وقد سبق تخريجه].

والأمور التي تتنازع فيها الأمة، في الأصول والفروع إذا لم تُرَد إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضًا، ولم يَبْغِ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيُقِر بعضهم بعضًا، ولا يعتدي ولا يعتدى عليه، وإن لم يُرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبَغَى بعضهم على بعض؛ إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته(83).

ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان:

1- اختلاف تنوع.

2- اختلاف تَضَاد.

واختلاف التنوع على وجوه:

[83] قلت: ما أشبه ما يفعله مدعو العلم في زماننا بما فعله هؤلاء المبتدعة بأهل السنة في زمانهم، فإنك لا تجد العالم يخطئ في مسألة أو ينفرد بقول ولو كان معه الدليل، إلا وتجد كم السب والقذف والطعن والتبديع وربما التكفير بحجة بيان الحق، وما ذاك إلا أخذًا بحظ النفس واتباعًا للهوى المردي في ضلال الجهل.

1- منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًّا مشروعًا، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم، حتى زجرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: ((كلاكما محسن))؛ [خ: (2337)].

2- ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسَميات، ونحو ذلك، وأما اختلاف التضاد، فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع، عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد، والخطب في هذا أشد؛ لأن القولين يتنافيان.

قوله: (ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: إن الدين عند الله الإسلام، وقال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3]، وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجَبْرِ والقَدَرِ، وبين الأَمْنِ والإِيَاس).

ش: ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الأنبياء أولاد علات دينهم واحد))؛ [متفق عليه؛ خ: (3382)، م: (2365)].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: 85] عام في كل زمان، ولكن الشرائع تتنوع؛ كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: 48]، فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وقوله: بين الغلو والتقصير؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: 77]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: 87، 88].

وفي الصحيحين؛ خ: (4875)، م: (1401)، وهذا لفظ مسلم، عن عائشة رضي الله عنها: ((أن ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا؟ لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)).

وقوله: وبين التشبيه والتعطيل تقدم أن الله سبحانه وتعالى يُوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تشبيه.

وقوله: وبين الجبْرِ والقدَرِ تقدم الكلام على أن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله.

وقوله: وبين الأمْنِ والإيَاس يجب أن يكون العبد خائفًا من عذاب ربه، راجيًا رحمته، وأن للعبد في سَيْرِه إلى الله تعالى والدار الآخرة بمنزلة الجناحين الخوف والرجاء.

قوله: (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن برآء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردِية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرِية، وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برآء، وهم عندنا ضُلال وأَرْدِياء، وبالله العصمة والتوفيق).

ش: الإشارة بقوله: فهذا: أي: كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا، المشَبهة: هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته كداود الجواربي وأشباهه، والمعتزلة: هم أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال؛ سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله، وواصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنقاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! وهم مشبهة الأفعال؛ لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، وأما العدل، فستروا تحته نفي القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك، وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن، وأما الوعيد، فقالوا إذا أوعد بعض عبيده وعيدًا فلا يجوز ألَّا يعذبهم ويخلف وعيده، لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد عندهم، وأما المنزلة بين المنزلتين، فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وأما الأمر بالمعروف، فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا، وقد تقدم جواب هذه الشبَهْ، والجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وقد أخذ ذلك عن الجعد

بن درهم وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، بعد أن ترك الصلاة أربعين يومًا شكًّا في ربه! ومما انفرد به جهم: أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، والجبرية: أصل قولهم من جهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمى الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليًّا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!

وقد روي في ذم القدرية أحاديث تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها.

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة، كما ذكر البخاري في صحيحه (3878) عن سعيد بن المسيب، قال: "وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبقِ من أصحاب بدر أحدًا، ثم وقعت الفتنة الثانية، فلم تبق من أصحاب الحديبية أحدًا، ثم وقعت الثالثة، فلم ترتفع وللناس طباخ"؛ أي: عقل وقوة.

فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة، فصار هؤلاء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ [الأنعام: 159]، وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم، الذي أمرنا الله باتباعه؛ فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: 153]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: 108]، فوحد لفظ صراطه وسبيله، وجمع السُّبُل المخالفة له؛ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًّا، وقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره، وقال: هذه سُبُل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 153]))؛ [حسن، رواه أحمد (1/ 435)]، ومن ها هنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة؛ ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في

كل ركعة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6]؛ قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى، ولفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل، أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل، فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر، والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به، ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيمًا محسوسًا، وعقابًا محسوسًا، وإن كان الأمر ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذبًا فهو كذب لمصلحة الجمهور! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل، وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وأن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء! ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلًا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يقرأ: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: 5]، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: 10]، ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: 75]، وهو لا يعرف معاني هذه الآيات! بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى! ويظنون أن هذه طريقة السلف! نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية المُفْضِية، بقائلها إلى الهاوية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.